عـــود الـنـــد

مجلة ثقافية فصلية

ISSN 1756-4212

الناشر: د. عدلي الهـواري

العدد الفصلي 24: ربيع 2022

نصوص :: قراءات :: أخبار ثقافية

عـود الـنـد تكمل 16 عاما

المحتويات

عدلي الهواري 4

الجدل حول الأعمال الفنية

هدى أبو غنيمة 7

فيروزتان + زيارة قصيرة

زكي شيرخان.. 9

فنجان الكابتشينو

فنار عبد الغني. 13

لمن المخترة؟

محسن الغالبي. 17

لـقــاء

هبة الأغا.. 20

ثلاث قصائد في الأمومة

شفاء داود 23

النور الجميل

زهرة يبرم 34

غفلة العمر + لست مجنونة

د. عبد الحميد صيام. 38

ديوان «بيت بيوت» لهبة بعيرات

عبد السلام بحاج.. 43
مفهوم التاريخ عند حنا أرنت

رحيل الفنانة التشكيلية 47
منى السعودي

مؤسسة شومان الثقافية 48
مسابقة: الكتابةللأطفال

أشواق عمر مليباري 49
مزنة + عائلة السيد مارش

سارة أبو مرجوب 50
هدية لـ «عـود الـنــد»

مختارات: ميخائيل نعيمة 51
جبران خليل جبران

مختارات: محمد زنـبـيـر 54
كان من الواجب احترام الموضوع

للباحثات والباحثين 58
مـواقـع أرشـيفـيـة

الفنان بول كلي 60
لوحة غلاف العدد الفصلي 24

الصفحة الأخيرة. 61
«عـود الـنــد» تكمل عامها الـ 16

عدلي الهواري

كلمة العدد الفصلي الرابع والعشرين

الجدل حول الأعمال الفنية

يبدو أن عددا متزايدا من الفنانين العرب يسيل لعابهم عندما يتعلق الأمر بإعداد عمل لمنصة الأفلام والمسلسلات الأميركية، نتفليكس، أو المشاركة فيه. أحد الأسباب اعتبار ذلك خطوة على طريق «العالمية»، وهي مكانة متخيلة تعني في أذهان الساعين إليها أن الفنان «العالمي» هو الذي يصبح على درجة عالية من الشهرة تجعله معروفا في مختلف أنحاء العالم، ويمتلك مقدرة فنية أعلى من الفنان المحلي.

وقد تبع أعمالا بثتها نتفليكس جدلٌ اعتراضا على مشاهد «جريئة» أو أفكار يعتبرها المشاركون في الجدل تسعى إلى هدم قيم المجتمع.

ويبدو في عصر مواقع التواصل اللا-اجتماعي أن إغراء إثارة الجدل والمشاركة فيه أمر لا يقاوم.

الاعتراض على أعمال فنية ليس مقتصرا على العالم العربي، وعادة يكون الاعتراض على فيلم له صلة بالدين.

لكن كل جدل حول عمل فني هو دعاية مجانية له. وكلما كثر الجدل

والاعتراض على عمل فني، زاد عدد مشاهديه، و زادت فرص تحقيقه شهرة، وبالتالي نجاحه تجاريا، مما أفرز «حكمة» في هذا الشأن وهي أنه لا يوجد شيء اسمه دعاية سلبية بالنسبة للأعمال الفنية.

من المفيد لمن يهمه متابعة أعمال فنية أن يعي الأمور التالية.

دعك من الحديث عن أن الفن رسالة. الأعمال الفنية مشاريع تجارية تسعى إلى جني المال من خلال ترفيه الناس. نعم أحيانا تكون الأعمال الفنية ذات رسالة، ولكن المنتج الذي يصرف الكثير من المال لا يفعل ذلك بغية توجيه رسالة فقط، بل يود كحد أدنى استرجاع ماله مع بعض الربح.

بعض الأعمال الفنية له رسالة من نوع مختلف، وتحديدا رسالة سياسية تمجد البلد أو جيشه أو عملا عسكريا أو زعيما. يكشف لك الفيلم أحداثا لا يمكن حصرها في ساعتين، ولا في مسلسل من ثلاثين حلقة، ويعطيك نسخة معلّبة من التاريخ، من شبه المؤكد أنها تكون في واد، والحقيقة في واد آخر.

في الماضي كان هناك جمهور يفضل حضور الأفلام الأجنبية، ولا تستهويه الأفلام العربية، ولذلك أسباب منها أن جودة الأفلام من ناحية التصوير كانت أفضل، فالفيلم الأسود والأبيض في العالم العربي كان منتشرا بينما الأفلام الأجنبية كانت ملونة. وفي بعض الأفلام الأجنبية هناك بعض العري الجزئي أو الكامل، إذا لم تحذف الرقابة المشهد/اللقطة، واستخدام شتائم تستبدل عند ترجمتها بـ»تبا».

والجمهور الذي يفضل الأفلام الأجنبية لم ينقرض طبعا، وهو يشمل هذه الأيام الفئة التي تسعى إلى متابعة الأعمال العربية المعروضة عبر نتفليكس، فهذه الأعمال في جوهرها أجنبية، ولذا أنت عندما تختار مشاهدة عمل عبر نتفليكس لست من محبي مشاهدة فيلم عربي معتمد على رواية عربية مثلا.

قررت في عام 2003 عدم متابعة التلفزيون سواء للاطلاع على الأخبار، أو لمتابعة مسلسلات أجنبية أو عربية. وبالنسبة لمشاهدة الأفلام، لم أعد أذهب إلى السينما إلا قليلا. ومنذ اجتاح وباء كورونا العالم لم أدخل دار سينما.

هذا لا يعني أني لا أحب الفن، أو أتفادى الترفيه. لكني وصلت مرحلة قررت فيها ألا أسلم عقلي وأمنح وقتي لمن يتخذون القرارات في وسائل الإعلام أو إنتاج الأفلام. ولذا لست مستعدا مثلا للاشتراك في خدمات الحصول على قنوات تلفزيونية مقابل مبلغ من المال شهريا، ولا في مواقع الصحف أو المجلات التي تريدني أن أشارك في تمويل ما تنشر وأنا أعرف أنه ليس منزها عن الارتباط بالأجندات المعروفة وغير المعروفة.

خلاصة ما أريد قوله هو أن الجدل حول ما يعرض في نتفليكس أو غيرها جهد ضائع، ورسوم اشتراكك فيها مال مهدور. ستكون فعالا أكثر في صيانة القيم بالحرص على وقتك وعلى ما تشاهد. لا تذهب إلى دار سينما لتخرج منها وتبدأ الاعتراض على ما شاهدت. ولا تشاهد عملا على نتفليكس أو غيرها وتفعل الأمر نفسه. الأصح أن تعترف أنك بالمشاهدة شاركت في إنجاح العمل الذي تعترض عليه.

هدى أبو غنيمة

فيروزتان + زيارة قصيرة

فيروزتان

وقفت الصبيتان أمام الواجهة الزجاجية لمتجر ملابس وهما تتأملان ثوبا فيروزي اللون وكأنهما تبحران في تموجات أطياف ألوانه نحو حلم مبهم المعالم تتراءى في غموض معالمه ومضات من أمنياتهما حتى نسيت كل منهما حضور الأخرى.

تراءى لإحداهما شراع زورق يبحر بها نحو شاطئ بعيد يظلله النخيل وأحد ما يلوح لها وحولها نوارس وهي ترتدي وشاحا مطرزا باللؤلؤ والفيروز.

وأبحرت الصبية الأخرى في زرقة الثوب نحو شاطئ صخري تتلاطم الأمواج على صخوره وهي ترتديه مزينا بعقد من الأصداف النادرة حالمة بعالم يلبي طموحاتها وهمهمات أحلامها.

انتهت لحظات الإبحار في زرقة الثوب بلمحة، فدخلتا لشراء ثوبين من اللون المعروض على الواجهة، وغادرتا مزهوتين بامتلاك حلم ما تشبه همهماته المبهمة بوح الأصداف، ثم اتفقتا على اللقاء في نهاية الأسبوع لحضور فيلم سينمائي روجت له وسائل الإعلام.

مضت السنون، وفرقت بينهما تيارات الحياة المتدفقة نحو وجهات متعددة

وتعذر اللقاء بين الصديقتين وإن بقيت ذكريات صداقتهما وصباهما تومض بين أعباء الحياة وهمومها مثل منارة تضيء وجهة السفن في ليل شتائي.

بعد عمر مر التقت الصديقتان لتكتشفا وهما تضيئان زمنا هانئا مضى أن الحياة التي عاشتها كل منهما ليست سوى لحظات من الذكريات الجميلة التي تتأرجح مثل فيروزة معلقة بسلسلة ذهبية تتأرجح على جيد صبية حالمة.

***

زيارة قصيرة

أزهرت الشرفة بحضور من جمعتهم الصداقة والقرابة وقد ملأت أحاديثهم وضحكاتهم المكان بعد العصر في ذلك الصيف وهم يستظلون بالدالية التي نضجت عناقيدها وتدلت مثل ثريات صغيرة تحتفي بأنس المكان.

مدت الياسمينة أياديها الخضراء وزهراتها العطرة، ولطالما أكرمتنا بالعقود التي تزينا بها، وملأنا بها الأطباق الصينية في غرف الدار.

حينما مالت الشمس للغروب، فجأة صمتنا جميعا وقد أصابتنا غصة الغروب في لحظات، وبدأنا نستذكر وهج من رحلت قبل أن يعقد ثمر ثريات الدالية.

وبين دمعة وضحكة خجولة وذكريات غالية لمن ملأوا زمننا في ربيع العمر بحضورهم، عبق المكان بعطر لم يكن أحد من الحضور يتعطر به سواها لكنه كان مختلفا.

التقت أعيننا فجأة وقد انتابتنا حالة تشبه حالة صوفي اتسعت رؤيته فضاقت عبارته.

قلنا بصوت واحد: شهيدة الأرض الطيبة بيننا. هلا بالحبيبة ندى الورد.

تيار من رائحة عطرها غمرنا جميعا وكأنها تضمنا وهي تمر بيننا، ثم تلاشت رائحة عطرها رويدا رويدا بعد زيارة قصيرة.

زكي شيرخان

فنجان الكابتشينو

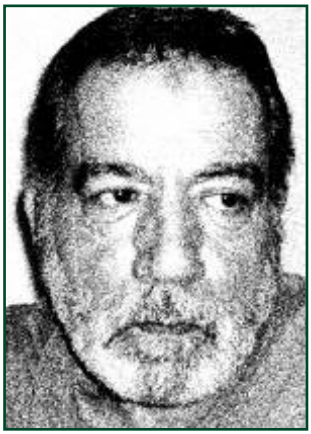

اعتاد، صباح كل يوم، وقبل أن يباشر عمله، أن يجلس في المقهى القريب من مقر الشركة التي يعمل بها، ليرتشف فنجان كابتشينو. هذا ما يمارسه كل يوم، وعقله يرفض أن يسميها إدمانا لكراهته لهذه المفردة. الأيام التي تحرمه هذه المتعة هي أيام العطل. بات موقنا أن إيميلي (Emily) هي خير من يعدها. هو لم يتذوق أطيب منها في مكان آخر.

إيميلي التي تعد المشروبات الساخنة في هذا المقهى، شابة ثلاثينية. جميلة. وجه مشرق. جسم متناسق، وشعر كستنائي بتجاعيد خفيفة. لا تضع أيا من المساحيق على وجهها، ويظنها، في قرارة نفسه، أنها تتقصد ألا تغطي هذا الجمال الطبيعي، بكحل، أو أحمر شفاه، وما شابه ذلك.

في البَدء، كانت النادلة تسأله عما يود أن يشرب. مع الوقت، ولأنه لم يكن يطلب غير الكابتشينو، صاروا لا يسألونه. ما هي إلا دقائق من جلوسه على نفس المنضدة التي لا يغيرها والمحاذية للواجهة الزجاجية، يتطلع للحاثي الخطى نحو أعمالهم، وبين الفينة والأخرى يختلس نظرة باتجاه إيميلي وهي منهمكة في إعداد ما طلبه الزبائن، يضعون الفنجان أمامه.

ومثلما اعتاد هو على ارتياد المقهى، اعتادت هي على تحيته حالما يدخل

بابتسامة، وانحناءة رأس خفيفة. يرد تحيتها بمثلها، ويود لو ردها بالأحسن.

مرت فترة لا بأس بها منذ أول وطأة لقدمه في المقهى، وارتشافه أول فنجان، ومعرفته بمن تعد أنواع القهوة، واختلاسه النظر لها، ومن ثم اعتياده المداومة. حادث نفسه وهو في سريره يستعد للنوم: «ليس هناك أدنى شك من أنها الألذ من بين كل ما تذوقته. هي بارعة في إعدادها. ولكن، أحقا أنك ترتاد المقهى من أجل هذا الفنجان الصباحي الذي أصبح لزاما عليك، أم ترى؟» أنّى له أن يجيب.

ذات يوم، وهو يرنو بنظره عبر الزجاج، «صباح الخير». التفت فإذا بها تضع الفنجان على المنضدة. وجّه نظره إلى عينيها مباشرة. آية جمال أخرى. «النادلة مشغولة في الداخل، ولا أريد أن يبرد محتوى فنجانك». لم يجبها. كمن أُخذ على حين غرة. ارتشف ما فيه بدفعات سريعة. دفع الثمن. خرج مستقبلا ريحا باردة كان بحاجة لها. «أيعقل؟»

في اليوم التالي، قدمت له فنجانه المعتاد. هذه المرة لم تقدم أعذارا. ابتسمت. «صباح الخير»، هو بادر بالتحية.

«صباح الخير، اسمي إيميلي. يبدو أن المقهى وما يقدمه قد أعجبك، لذا صرت من زبائننا الدائمين، وهذا مدعاة سرورنا».

لم يرد. اكتفى بإيماءة رأس وابتسامة. «إن كان لا يضايقك الأمر، فسأقوم بتقديم مشروبك كل يوم بنفسي».

«لا، أبدا»، رد.

صارت تأتيه بفنجان الكابتشينو كل يوم، وتبادله حديثا مقتضبا،

«لا أظن أنك تعمل في إحدى المحلات المجاورة؟»

«أنا أعمل في شركة تقع في الشارع المجاور».

سألته مرة: «أتعيش وحدك؟»

«نعم».

خطوة يقوم بها الرجال والنساء على حد سواء رغبة في تعميق العلاقة. لم يفاجئه السؤال، إذ بدا له بوضوح أنها استلطفته. «هل أنت مستعد؟» هذا

ما سأل نفسه. لم يستطع الإجابة، لا بل لم يرغب. ما بين الرغبة العارمة التي تعتريه، وبين التَّلأْي الذي سيقع فيه بعد أن يفترقا. ستقول له بعد فترة، سيان طالت أو قصرت، وببساطة سَمجة: «لم أعد أشعر بعاطفة تجذبني إليك». مثل هذا يحدث دائما كأنه جزء من ثقافة هؤلاء القوم. البعض ينعته بصدق المشاعر، وليس هناك من داعٍ من ديمومة علاقة بلا عواطف. البعض الآخر يفسره بأن القوم يعتبرون الحياة أقصر من أن تمضي بمعاناة عدم التوافق العاطفي حتى في الممارسات الغرائزية.

* * *

لم يمنحه الوقت ما يكفي لحسم ما اعتمل بين عقله وغريزته اللحوحة. انتشر الفايروس بسرعة. جائحة مرعبة لم يسلم منها بلد. ازدادت أعداد المصابين والموتى. فرضت القيود الصارمة. أغلق الكثير من مراكز العمل، ومارس الموظفون أعمالهم عبر الإنترنيت.

لزم البيت بطلب من الشركة العمل عن بُعد، بعد التأكد من إصابة اثنين من موظفيها. لم يحتمل الحرمان من فنجانه الصباحي. في اليوم الرابع توجه صوب المقهى بعد أن وضع قناعا، ودس في جيبه قنينة صغيرة من المُعقّم. في المقهى، رُفعت بعض المناضد والكراسي، وبُوعد ما بين المتبقي لضمان المسافة المقترحة من السلطات.

أدار رأسه في كل الاتجاهات، بعد أن لم يجد إيميلي في موقعها المعتاد. لحظات وظهرت تضع قناعا. بدت له أجمل. اتخذ مجلسه. جاءته بالمطلوب.

«صباح الخير».

«صباح الخير» رد.

«صار لزاما عليّ أن أعمل في البيت. شوقي للفنجان أخرجني عَنْوةً. لا أدري إلى متى سيستمر هذا الوضع؟».

«سيطول بأكثر مما نعتقد، و...». لم تكمل. قَفَلَتْ.

بعد أسبوع، حث الخطى نحو المقهى. مَنَّى نفسه بلقائها. الثلوج غطت الشوارع والأرصفة والأشجار والسيارات المتوقفة. رفع ياقة معطفه اتقاء

البرد. دَلَفَ. وجد فتاة غير إيميلي تعد القهوة. أجال النظر عله يجدها. تقدمت النادلة وضعت فنجانه، وحيّته.

«أين إيميلي؟» سأل.

«أصابها الفايروس منذ أيام».

طلب رقم هاتفها. ارتشف من فنجانه. نظر للفتاة التي أعدته. خامره شعور بأن هذه الأسوأ من بين كل ما شربه. خرج مسرعا بعد أن دفع الثمن دون أن يرتشف ثانية.

* * *

اتصل عدة مرات دون أن يتلقى إجابة. في المساء أعاد الاتصال. رد عليه صوت نسائي أجَش.

= أليس هذا هاتف إيميلي؟

= نعم، لكنها لا تستطيع الرد. نقلت إلى العناية المركزة. في المستشفى وضعوها تحت جهاز التنفس الاصطناعي. هي في وضع خطر. الأطباء يظنون أنها لن تصمد.

سكتت لبرهة قبل أن تكمل.

= «كما تعلم، هي تعاني من مشاكل في الجهاز التنفسي منذ طفولتها، وهذا...»

لم يدعها تُكمل. شكرها، وأغلق. من أين يدري أنها تعاني من مرض مزمن؟ لم يبد عليها أي عارض منذ عرفها.

«لن تصمد». ظلت ترن في أذنه كناقوس ثقيل. مد رجليه، وشبك يديه فوق يافوخه. أغمض عينيه.

«إن نجح هذا الفايروس في سلب إيميلي أنفاسها، فيكون قد اتخذ القرار بدلا عنك. ترى كم قرارا سيتخذ بدلا عن الآخرين؟ وإلى متى سيظل يقرر؟»

فنار عبد الغني

لمن المختارة؟

لم أكن أرغب بالكتابة عن هذا الموضوع الذي يعيدني إلى سنوات الطفولة العجاف حيث جرت أحداث هذه القصة، لكنني تشجعت عندما كنت أشرح في الصف لطلابي عن أثر الطفولة وذكرياتها في تكوين اللاوعي وأثره على شخصية الفرد.

لم أكن حقا أرغب في كتابة هذه الأحداث لكيلا أغوص في تحليل شخصيات الناس واستخراج عقدهم النفسية. لكن حدثت أمور عديدة جعلت هذه القصة تعود إلى وعيي من جديد، منها موت المعلم أبو شادي بطل قصتي، ومنها شرح درس الوعي الذي أكد لي أن الأحداث المؤلمة التي تنطبع في ذاكرتنا ونحن أطفال تكون أعلى من مستوى وعينا، لذلك من الصعب أن نتخلص منها. وأنا وجدت في الكتابة فرصة لتحرر من وطأة هذه الذكريات. وبتشجيع من أختي التي عاشت معي تلك الذكريات وشاركتني إياها وبطلب خاص منها، قررت أن أكتب وأطلق العنان لآلام الطفولة المعتقلة.

تعود أحداث قصة «المختارة» إلى زمن الطفولة كما ذكرت سابقا: أيام الصف الخامس الابتدائي، حين كان يعلمنا مادتيّ الحساب والرسم المعلم أبو شادي الذي وُلد في فلسطين قبل النكبة بعشر سنوات. وهو من بلدتنا السميرية. بدأ بتدريسي وأنا في الصف الرابع ابتدائي ولم يكن مربي صفي. وأنا كنت أنال

الدرجة الأولى في الصف لمدة أربع سنوات متتالية أي منذ الصف الأول حتى الفصل الأول من الصف الخامس ابتدائي.

أمّا سر حصولي العجيب على المرتبة الثانية فلم أكتشفه للأسف إلا بعد مضي وقت طويل، وبالتحديد عند مزاولتي لمهنة التدريس، حيث عرفت أن مسألة تربية الصف تعود لاختيار المعلم نفسه. بمعنى آخر، المعلم أبو شادي هو من أختار أن يكون مربيا لصفي أنا بشكل خاص.

كان المعلم أبو شادي معلما قاسيا يحمل عصا طويلة وسميكة يضرب بها التلاميذ الصغار ضربا مبرحا وبلا رحمة. أذكر أنه عندما بدأنا بحفظ جدول الضرب، كان يتعمد أن ينظر بقسوة في أعين الأطفال ويرفع صوته لإرباكهم وتخويفهم.

أذكر أنه كان يسمّع لرفيقتي نهى جدول الأربعة وأخذت باستظهار الجدول، وأوقفها عندما قالت: 4×4=16، فقاطعها، وقال أعيدي، فقالت: 16. قال: أعيدي. أجابت: 16. قال خطأ، فأخذت تقسم بالله أن الجواب 16. لكنه ظل يرعبها حتى تراجعت وقالت: 15، فما كان منه إلا أن بدأ بضربها ضربا مبرحا على يديها الصغيرتين.

هذه الحادثة حملتني على البحث يوميا عن العصي التي يستخدمها المعلمون لضرب التلاميذ، ووضعها في حقيبتي دون أن يراني أحد، ثم التخلص منها بعد تكسيرها إلى قطع. هذا العمل أفخر به كلما ذكرته، أنا التي خلصت الأطفال من الضرب في المدرسة.

أمّا الموضوع الآخر الذي أذكره، فقد حدث في حصة الرسم في الفصل الدراسي الأول من السنة الخامسة الابتدائية، حيث جاء المعلم أبو شادي إلى الصف وقال لنا: «الآن سوف أحتسب علاماتكم لنعرف الناجح من الراسب. والراسب سوف ينال نصيبه من الضرب، وطبعا الأول في الصف فؤاد وسوف نصفق له».

فؤاد؟ من فؤاد؟ نسيت أن أخبركم عنه. هو تلميذ في صفنا، لكنه أكبرنا سنا، ينتمي لأسرة بسيطة وظروفها صعبة كظروف معظم تلامذة الصف. وكان

المعلم يعامل فؤاد معاملة حسنة، وكنت أعتقد أنه يشفق عليه بسبب ظروفه الصعبة، أو لأنه يتمنى أن يكون له ابن صحيح البنية كفؤاد، إذ كان لدى المعلم ابن وحيد من ذوي الاحتياجات الخاصة.

لقد صُعقت عندما نطق المعلم بتلك الكلمات القاسية. كيف سيتفوق عليّ فؤاد وأنا احتفظ بدفتر صغير أكتب عليه علاماتي في كل المواد وعلامات رولى وسميرة ونهى وفؤاد الذي بدا وحسب مجموع علاماته عندي أنه سوف ينال الدرجة الثالثة أو الرابعة؟

انتهى المعلم من احتساب العلامات في الصف، وألقى القلم من يده ووقف غاضبا وقال:» فنار هي الأولى». ورغم أنه لم يطلب من التلاميذ أن يصفقوا لي، فقد صفقوا بشكل عفوي. كنت أشعر بكرهه لي دون معرفة السبب. وكان دائما يردد على مسامعي أنه ابن المختار، والمخترة لهم. وأنا لم أفهم أبدا معنى كلامه. لكن ما حصل بعد ذلك أن المعلم لم يعد يحتسب العلامات في الصف، وأن فؤاد الذي لم يكن يدرس كما ندرس نال في الفصل الثاني والفصل الثالث الدرجة الأولى.

في حصة الرسم كلفنا المعلم برسم حيوان يعيش في الغابة، فاستدعيت من ذاكرتي صورة الدّب المنقوش على فنجان الشاي، وقد رسمته على الورقة في الصف. وعندما انتهيت من رسم الدّب قمت من مقعدي لأعرضه عليه، فقام بتوبيخي وإهانتي أمام تلاميذ الصف. وقد أتهمني بأنني كاذبة وأنني لست من رسم ذاك الدّب. وصرخ في وجهي قائلا:» اعترفي من رسمه؟ مثل هذا الرسم لا يرسمه إلا شخص محترف؟» أجبته سوف يأتي أبي غدا إلى المدرسة ليقول لك من الذي رسم الدّب. وما أذكره جيداً أنه بعد هذا الموقف، لم أمسك قلما وأرسم بحرفة.

لم تنته قصتي مع المعلم أبي شادي، لأنني عندما انتقلت إلى المرحلة الإعدادية، واستعدت بالطبع درجتي الأولى من جديد، لم يترك فرصة رآني فيها أمام أي أحد إلا وذكر هاتين القصتين: «المخترة إلنا»، و» فؤاد سبق فنار» وخاصة في غرفة المعلمين وعند شقيقته التي كانت جارتنا.

لا أخفي على أحد أنني بقيت أفكر في حل لغز كيف سبقني فؤاد في الدرجة رغم كل المعطيات. كانت كل علاماتي أعلى من علامته باستثناء مادتيّ الحساب والرسم. ولم أكتشف السر إلا بعد أن أصبحت معلمة، ورأيت بأم عيني كيف يمكن لمربي الصف أن يضيف علامات للطلاب الذين يرغبون بجعلهم الأوائل على الصفوف أو حتى على المدرسة. وبعد ذلك بدأت حيرة من نوع آخر تبتلعني، إذ لم أصدق حتى الآن كيف يمكن لمربٍ أن يتجاوز مبادئ التربية؟

توفي أبو شادي في أميركا منذ سنة تقريبا. لم يستطع قلبي مسامحته. وقد كتب على حسابه في أحد مواقع التواصل الاجتماعي عن قصة المخترة، وهي أن والده كان آخر مختار لبلدة السميرية، وأنه عرض ختم المخترة الذي اصطحبه معه إلى أمريكا، وأنه تعرض لانتقادات، واتهم بالكذب وتضليل الناس.

وكتب أحد أفراد عائلتي قصة المخترة التي فهمتها أخيرا، والتي لم يستطع أبو شادي تكذيبها. والقصة هي كما يلي:

في أوائل سنة 1948، طلب سكان السميرية، بلدتي، تغيير المختار، الذي كان والد أبي شادي بعد وشايته بشبان البلدة المقاومين وتسليمهم للعسكر الإنجليز. وجرت الانتخابات وفاز أحد أجدادي بالمخترة. ولكن النكبة حدثت وتهجّر أهل البلدة وتاهوا في الشتات.

وللأسف فإن الكثير منهم مسّ الشتات روحه وعقله. وبدل أن يعمل على بناء جيل يتسلح بالأمل ويساعده على رسم ما رآه يوما من جبل ونهر وشجر وورد، وما سمعه من قصص عن الوطن في الذاكرة، وينمي فيه حب الأرض ويدفعه للعلم والعمل، فضل أن يعيش من أجل ذاته، يجتر أوهام الماضي، ولا يذكر إلا تلك القصة التي لا وجود لها إلا في عقله وعقول أمثاله.

محسن الغالبي

لـقــاء

ربما كانت مصادفة. أو ربما كانت خطة إلهية. أضحك عندما أسمع هذه الأخيرة لكنني أكتم ضحكتي، ليس خوفا من مؤمن، لكنني ما عاد فيّ مزاج للجدل، أو للبحث عن آلهة جديدة.

وتسرقني خطاي إلى حيث لا خطا غيري، ويشط بي سيري فأقفل راجعا ويهرب من عودتي داري، فأتيه.

ربما كانت مصادفة ذاك المساء إذ التقيت بها. أنكرتها، وتنكرت لي. صافحتها كغريب، وكذا صافحتني. ساد صمت بيننا، الموت أشدّ منه حيوية وانفعالا. تفلّتت كفها من كفي، وأدارت ظهرها نحوي فمنحتها ظهري. غرزتُ كفي في ذاكرتي باحثا عما سينعشها، بلا جدوى. أطلنا المكوث ردحا من الزمن، حتى بدا لنا عبثا هذا اللقاء، وهممنا بالفراق.

أطحتُ برأسي إلى جدار قريب أصم كما صممي، علّه يخرج ما تبقى فيه من رذاذ ذكرى. وعبثا كان فعلي، تماما كما هي كل أيامي.

حدقت فيها بكل ما أوتيتْ عيناي المفقوءتان من وجع السنين من نظر . لكن، كان سدى.

أدركت فيها ملامح سرعان ما غابت لأصاب بالغثيان ككهل هدّه تسارع الأوجاع والعلل.

صرخت بها، تمهلي! ما عاد في العمر متسع لمجاملات فارغة كتلك التي يهدر فيها الناس أعمارهم، أو لخجل مصطنع. أنا أعرفك حق المعرفة. وأجهلك حق الجهل. فمن أنتِ ؟

تبسمتْ ولم تنطق ولم تفصح ولو بإشارة كما لو أنها تضعني أمام تحد لست أهلا له. تمعنتُ فيها وفي ملامحها كثيرا بشكل أدركتُ معه أنها ستغضب وربما تهجرني وترحل. لكنها لم تفعل، وكأنها تغريني بالتمعن أكثر. بدأت عيناي تلتهمانها من أخمص قدميها إلى أقصى أقاصي جبهتها. لم يسعفني كثر التمعن في معرفتها بل زادني جهلا.

هكذا هي الحياة أيضا، كلما أمعنتِ فيها لتدركها، أدركتِ جهلك فيها.

كل ما فيها قريب مني، لكنها غريبة عني. بالأحرى أنا الغريب لا هي. فمن هي؟ أو ، من أنا؟

«إني رفعت الراية البيضاء سيدتي، بلا قيد ولا شرط،

ومفتاح المدينة تحت أمرك.

فادخليها في سلام.

جسدي المدينة» [1].

جسدي المدينة، فكوني أنتِ ... ، وسكتُّ كأنما أصابني الخرس، فأحجمت. تبسمتْ كأنها أدركتْ ما أردتُ قوله، وشعرتُ أني أقترب منها خطوة. كم وددتُ لحظتها لو أنني كنت على دين بوذا كي أحلّ بها أو تحلّ بي. ولو في مجرد حلم ليس أكثر.

أنا الخراب البلقعِ ، فاسفري، أرجوك، ولا تتبرقعي. كن معي وأعنّـي على هذا اللقاء! يا من هجرت بخارى وجبت المدن لتموت بغيرها![2]

قالت إن عرفتني فقد عرفتني، وإن لم تعرفني فليس لي إلا التلاشي ، وليس لك إلا البحث عني، وعنك، إن أردت.

لملم رفاتك أيها العاجز. رمم رفاتك أيها المتهشم. أو ، فلتكن حجرا.

يا «ليتني حجر

لا أَحنُّ إلى أيِّ شيء
فلا أَمسِ يمضي، ولا الغَدُ يأتي
ولا حاضري يتقدمُ أو يتراجعُ
لا شيء يحدث لي»[3]

= = =

1. من قصيدة «صورة خصوصية جدا من أرشيف السيدة م» للشاعر نزار قباني.
2. المقصود أبن سينا وقصيدته العينية.
3. من قصيدة «ليتني حجر» للشاعر محمود درويش. قافة، الأردن، 2021.

هبة الأغا

ثلاث قصائد في الأمومة

3/1

أحفظُ خزانةَ صغاري كخارطة، كشارعٍ مَليءٍ بالمطبّات

وأعرفُ غسالتَنا المزعِجة، أجمعُ من أجلِها كومةَ غسيلٍ كبيرة، يتمدَّدُ الغسيلُ مثلَ رجلٍ كسول، فتفاجئُني سُترةٌ كُحليّةٌ مُقلَّمة كأنني أراها لأولِ مرّة.

أحتفلُ بزوجينِ من الجرابينِ التَقَيا أخيراً، أرى ابتساماتٍ صغيرةً في فستانٍ أحمر، وجدائلَ شقراءَ وعيوناً عسلية، وتباغتُني رجولةٌ تكبُرُ في كنزةِ الصوف وجسدٌ يَشقُّ طولَه مثلَ نخلة، وصوتٌ خشن!

أطرافُ أصابِعي تتحوَّل إلى قَفَّازات، حينَ أتذكَّرُ كيفَ تشقَّقَت أصابعُ أمّي، وهي تدعكُ الغسيلَ في طُشطِها المتهالِك، فيتحوَّلُ قلبي إلى شالٍ على كتِفَيها.

أنفُضُ سلَّتي، أخبِّئُ بعضَ الحنينِ في مِعطفٍ قديم.

وأدسُّ في جَيبِ سروالِ الجينز بقيةً من ذكريات!

3/2

أعودُ منَ المعركة، من الحياةِ إلى الحياةِ، كبلدوزر لا يهدأُ

أتكوَّرُ على نفسي كلَّ مساء، أجرُّ خيباتِي وحقيبةَ اللابتوب

أُلملِمُ بقايا الحُبِّ المتناثِرِ في شَقَّتِنا، أَضَعُهُ في صينيّةِ بطاطس بالكُفتة، أو

طبقٍ كبيرٍ من الباستا بالكريمة
وأتساءَلُ كيفَ تُجيدُ المطاعمُ صنعَ البيتزا
أكثرَ منّي!
ويتكرَّرُ الأمرُ

ثلاثين مرّة

ثلاثين شهراً

ثلاثين عاماً

ولا شيءَ يُساوي حرارةَ الفرن إلا وجبةَ «دنيس مقلي» يتناولُها الصغارُ مع أبِيهِم في يومِ جمعةٍ وحيد، يضحكون ويتقاتلون، يصنَعُون المقالِب ويَكبُرُون على ذاتِ الكرسي

ثلاثين يوماً

ثلاثين شهراً

ثلاثين عاماً

سيعودُ أبُوهم متسلِّلاً آخرَ الليل، ومعه «كيس الحجات» فيسألُ عنِ الصغار، وينسَى أنّهم كُبُروا.

3/3

تسألُ يارا أسئلةً وجوديّةً أطولَ منها، ترسمُ الملائكةَ بلا أجنحةٍ، يُغمغِمُ كامل، يدورُ في الهواءِ ويقذفُ الكتب، يصنعُ بقدميهِ حركاتٍ بهلوانية، يقضِمُ تفاحةً حمراء: نكرهُ
المدرسةَ يا ماما!
ويمرُّ الوقت.

تتفقّدُ يارا أحلامَها، يجلسُ معَها الحصارُ داخلَ الصالة، لن ترتديَ أزياءَ فروزن في عيدِ ميلادِها القادم، ولن يحملَها بالون هيليوم مثلَ فيلم (up) .

نقاشاتٌ لا تنتهي، كُراساتُ الواجبِ تتطايَر، أُزمجِرُ بصوتٍ مزعج، تنهالُ الشتائمُ والحفَّايات

ثمّ يتوقفُ في حلقِي الكلام!

تراقبُني المرآة، أخبِّئُ منها النمَشَ المتناثرَ على وجهي

وزني الزائد، حزني المتراكمَ على سَجَّادةِ الصلاة

أصدقائي الخائفين، ونصوصي المبتورة، ورغبةَ امرأةٍ في اعتلاءِ الحياة.

أُلملِمُ جَناحيَّ وأعيدُهما مكانِهما، أنظرُ للصغارِ ولأبيهِم المُتعَب، أفتحُ للأمومةِ جناحاً كبيراً على مِصرَاعيه

ويخرجُ من شبَّاكِ قلبي طائرٌ صغير.

يقفُ على سطحِ منزِلنا

ويغني!

من البحر الغزل، وأجمع من وجوه الصغار الحكايات، وأجمع من وحي البلاد الكلام.

شفاء داود

النور الجميل

لمْ أخرج خروجا طبيعيا واحدا في حياتي قط. جميعها كانت أشبه بولادات قيصريّة اقتضت مساندة فريق طبّي كامل يعي أنّ العمليّات الدّقيقة المعقّدة لا تكفيها مهارةُ قابلة قانونيّة معروفة واحدة. كلّ خروج كان يُهيّئُني لنضج يستدعي خروجا أكبر من بعده.

كلّ عتمة كنت أحسبها الأخيرة كانت تتبعها غياهبُ ودُجى وظُلمات. أمضيتُ العمر بحثا حثيثا عن نور جميل، فما رأيته جليّا، وما وجدته بهيّا سنيّا كما كان يبرق فجر كلّ ليلة أخيرة تسبق طلعة نهار الخروج العظيم.

حين تخرّجتُ من الجامعة، كنت أحلم كما يحلم الحالمون. أحلم بهجرة، بحياة تشبه بعض الشيء ما أسمعه عن الحياة، يزيّنها قبس من الاستقرار المادّي والجسديّ والروحيّ والفكريّ، وهناء وكفاء وراحةُ بال. لم أخرج من هناك خروجا إراديّا اعتياديا آنذاك، ولم أصلْ إلى هنا كما تُسردُ الأساطير أيضا.

عشْتُ أُحارب مخاوفي كلّ لحظة. اللحظةُ التي تصرعُ فيها الخوف، هي لحظة مواجهة ضيائك وبلوغ قمّة بهائك. يسطعُ نورك من بعدها حتما. هل تأخّر نُوري ودوري كثيرا يا بلسم؟ أم أنّني هكذا وحدي أظنّ؟ كنت أملك أنوارا مختلفة، ولكنّ عينيّ غضّتا الطرف عن كلّ نور دون النّور الذي أرنو إليه وإلى مناكبه أسعى، ولمثله أطمحُ وأحاولُ وأُريد.

نشأتُ ذا عزم. أوتيتُ من كلّ شيء. كانت ثرثرتهم تزيدني همّة إلى همّتي. فرقة يستنكرون ويستكبرون، وجماعة يدعون لي بفتوح العارفين ويستكثرون.

ذو حظّ ووُسْع عظيم. تأتيني المصائب جماعات وشتّى تباعا من فوقي ومن تحتي وعن يميني وشمالي، فأقولُ عمت أهلا وطبت سهلا، وأفتح لها ذراعيّ ما استطعتُ، وأبتسمُ بطيب خاطر، فيا مرحبا بقدر يذكّرني بين حين وآخر أنّني جدير بمواجهة معتركات الدنى ومطبّات الحياة، وأنّ عليّ أن أحيا، وأنّني يحيى، وأنّه لا بدّ لي من أخذ كتابي بما أوتيت من قوّة، وأنّ كلّ نفس لا تكلّف إلا وسعها.

كلُّ نفس لا تكلّف إلا ممّا أُوتيت. ويبدو أنّي أوتيت خيرا وفيرا. وتمام الخير الصّبر على أذى الغير وتلك زكاته. وما أطهر الزكاة!

* * *

عن مدينة صغيرة انقطعت، وإلى مدينة عملاقة وصلت. كلّ نعيم عند النظرة والتجربة الأولى والشعور الأول بدا مختلفا، بدا ممتعا، بدا مبهرا، ومدهشا. وكم بدا لي ساحرا فتّانا أخّاذا متألّقا متأنّقا كاملا مهيبا فريدا مجيدا وجميلا. يثرثر المغتربون عن غربتهم ثرثرة تبدو في بعض الأحيان مبتذلة مكرّرة ومملّة. لم تبدُ لي موحشة وكئيبة مثل ذلك.

ما نفعُ أن تتقوقع في زنزانة فكرة رثّة أكل عليها الدّهر وشرب، وتضيّق على نفسك الخناق، وتحشر أنفاسك في بوتقة وهْم الانتماء لشعار سوقيّ مهترئ فضفاض لتندم في اللحظة الأخيرة من حياتك لأنّك تقوّلت أقوال الآخرين، وتقلّدت قضاياهم لتتخطّفك أيّامُ العمر مُستهلكا غير منتج، مُتأثّرا لا مُؤثّرا، مصفوفا لا صافّا، مصفّقا للفاعلين، مفعولا به دون أن تحظى بشرف محاولة أن تكون مثلهم أو معهم أو تتفوّق عليهم، فتسبق مجدهم وتسابق جدّهم وتصير معطاء منهم أو أجْدر بالتّمكين وأخْيَر؟

حين أُهاجر، لن أنتمي إلى شعور لطيم يؤرّق القلب حنينا إلى حضن لم يكن يوما حضنا، ويخدشُ الأفراح واللّيالي الملاح شوقا لاحتواء لم يشبه ليلة ممّا مضى الاحتواء.

سأنتمي لعطر الخير وصوت العقل لا غير. ابن قويّ فعّال يدير التزامات العائلة الأمّ عن بُعد، خير من ابن ضعيف قوّال كلّ، لا يتحمّل مسؤولية انقطاع الكهرباء أو صيانة صنابير دورات المياه لقلّة ذات اليدّ والحيلة التي حبس ذاته إراديا في سراديبها حين خدّرها تخديرا كاملا بوهْم عُقدة الرّضا السّلبيّ المقيت، وسوء فهم عقيدة الانتماء لبقعة من الأرض لا يخفى على ذي عقل أنّها طيّبة مباركة، ولكنّها لا تعرفُ ولا تُعرفُ ولا تعترفُ يوما بالمسوّفين والاتّكاليين والسّوداويين المثبّطين المحبَطين المحبِطين المتشائمين الجليديّين المرتاحين إلى السّبات الأبديّ منذ سنين ولا ترحّب بهم ولن.

* * *

الأرض معلّمة حكيمة أيضا. ترسم القُبلة بين عيْني المثابر عرفانا وامتنانا وإكراما، ولا تلصقُ النّجمة الذّهبية البتّة على خدّ عابر مجّانا بلا مُقابل. بلا جدّ بلا جهد. بلا محاولة. بلا إصرار. بلا استمرار. بلا استماتة. بلا تحدّ وجلد، وبذل وتضحية وعزيمة، وتفان وتعب.

تمّت نعمتي في نقمتي، وحفظتُ صلاتي بصلاتي. وكان وعيي في سعيي. ورُزقتُ شفائي بدعائي. وأوتيتُ امتلائي باكتفائي. التقيتُ نجمتي في هجرتي، فرسمتْ لي نجمتي وراحت في الشّتات تبصّرني بقبْلتي، وكافأتني بقُبلتي، وكانت ملاذي الآمن السريّ الدافئ البعيد السعيد، وسلوتي ومسرتي ومجرّتي.

الانتماءُ كرامة. نور وعزّ واستقامة. الانتماء شعور بالأمن والأمان والاستقرار والسّلم والطمأنينة والهدوء والسعادة والسّلام. الانتماءُ ريّ وضيّ وشبع ودفء وقدرة على التفكير والعطاء والبذل والإنتاج. الانتماء حبّ والحبُّ انتماء. أنت لن تحبّ من لست إليه تنتمي، وأنا لا أنتمي لمن لست له أحبّ.

تلك معادلة سرّية سحريّة يدركها العاشقون وبعض الفيزيائيّين، نصّت على ما يؤكّدها قوانين الكيمياء والفيزياء حين أثبتتا قانون حفظ المادة وبقاءها: عند حدوث أي تفاعل كيميائي فإنّ كُتل المواد المتفاعلة تساوي كُتل المواد الناتجة.

تلك قاعدة لا بدّ لكلّ متردّد بالهجرة مُحتار في اتخاذ القرار من تأمّلها مليّا لفهم أسباب النتائج التي نحصل عليها إثر تحرّكاتنا، والتي تعتمد كلّيا شئنا أم أبينا على ترتيبنا لأولويّاتنا من القيم المرجوّة المتبنّاة: الأهمّ ثمّ المهم في حيواتنا، وليس بالمزايدة فحسب على ما بين أيدينا من مُعطيات ومكرمات.

اضطررت أن أترك جذوري هناك، فؤادي بين جناحيْ فؤاد والدتي. روحي تغدو وتروح على راحتيْ والدي كلّما ارتفعتا بالدّعاء. عينايّ جمدتا عند نظرة وداع أخواتي المريرة. صوت وصاياي يزعج آذان إخوتي بلا استثناء. أعرف. الكبير مزعج دوما لكثرة قلقه على الفتية الذين لا يكبرون في عينه وإن غزاهم الشيْب أو صاروا أجدادا.

يريحني أنّ لهم أمنياتهم، ويروّح عنّي أنّ كلّا منهم اختار طريقه الذي شقّه، وطريقته التي نهجها ومعركته التي خاضها عن قناعة وسبب. لا تبرحنا أحلامنا ولا يبرحها تكاثر الفُرص ويُبْرِحُها ضربا توقّع المفاجآت ووقوع الاحتمالات ومن تحمّل حمل أحلامه وتحلّى بالعلم وتخلّى بالحلْم ربحْ.

تمنّيت لو أنّي استطعت ترك ألمي برفقة أملي وكتبي وذكرياتي وبداياتي وشجرتي ودُرجي ودرّاجتي ومكتبي ومكتبتي وكرسيّ ومآسيّ وبيت طفولتي وصباي وشبابي ليلة إدراك الظلم السّاري والقهر المتفشّي في أزقّة ضاحيتنا الصّبورة. تجرّعت غصّة كذبة أنّ السعادة ديمومة قُربنا ممّن نحبّ حين تيقّنت ألّا سعادة تكافئ أن نؤمّن لنا ولهم حياة أكرم من هذه، أو أن نساهم في معجزة مثل ذلك. حتّى إن خرجنا عنهم أو أُخرجنا منهم بعيدا، بعيدا جدّا.

* * *

لم أعدْ أحدا بالعودة كما جرت العادة بأن يعد المهاجرون. أدركتُ مبكّرا أنّ خروجي الأوّل هو بلا شكّ الأخير، وأنّ العمر لا يتّسع لعودة، وأنّ هجرة العاقل تكون منه إليه بين جنبيه. نهاجر من تواكل، ونهجرُ اتكاليّة ونعود إلى همّة ونودّعُ بالعزم والتصميم والتحدّي كلّ تقاعس وضبابيّة وانهزاميّة.

تأمّلتُ الغرفة التي درست فيها سنين: رفّين جداريّين وبابيْن؛ نافذتين إحداهما تطلّ على الباحة الدّاخليّة، والثانية صغيرة يطيل النّظر إليّ ويطلّ عبر زجاجها المزخرف الملوّن على سهري وأسراري كلّ من صعد ليلتقط ثيابه المنشورة من على حبل الغسيل فوق العلّيّة المستورة؛ بلاط مكسور زبرجديّ اللّون لم يعجب أحدا. أعجبني واخترته بنفسي لنفسي، لحاجة في نفسي لم تُقض بعد.

سرير أخبرتني جدّتي الرّؤومُ أنّي عليه وُلدتُ بعد جوريّات ثلاث. هرّة معمّرة طوّافة علينا تنام بسلام فوق صندوق عجائب والدتي المزيّن بأحجار عاجيّة مذهلة لطالما أُغرمت بها وفُتنت بحسنها وبديع نقوشها المحفورة بإتقان، كما تُحْفر الأوطانُ والأمّهاتُ ومشاعر الحبّ الأوّلى في الصّدور حفرا لا يخور ولا يبور.

تخبز ربّة القلب والبيت في مطبخ شرقيّ لا أنساه. مطبخ فيه خزانة نعيم يحبّها الأطفال، ويسعى إلى بركتها التي لا تنقطع عدد قرصات الجوع الكبار قبل الصّغار. كان اسمها في سالف الأزمان: نمليّة.

على رفوف رخاميّة عاليّة تصطفّ مرطبانات مونة ككنوز كسرويّة قيصريّة تمتدّ بلا ابتداء. بلا انتهاء. تطوّقها جدران أربعة: جدار للحبوب والبقوليّات والنّواشف والمعلّبات، وآخر للمربّيات والمخلّلات والمكابيس، والثالث لتنكات السّمن والزيتون وزيته. وأنت لا تدري كم نحن أقوام تحترمُ سالفي الذّكر كليهما، وتميّز بين أنواعهما يا صديق.

الرّفُّ الأخيرُ للسُّكّر والشّاي، وما أدراك ما معنى الشّاي لعائلة تحبّه وتحبّ الحياة وتقدّسُ العائلة ولمّتها مثل عائلتنا. نحن قوم تقوم قيامتهم وتصطلحُ عشائرهم وتزفّ عرائسهم وتبنى أمجادهم وتستثمر أموالهم بعد أوّل رشفة شاي. نسند الظّهر المتعب إلى حائط دارنا الذي لا يتعب ونتنهّدُ مع نفس عميق ونشكر حُمرته ونذوبُ بخُمرته ونقولُ ببهجة غامرة: «الله».

* * *

الشّاي يا صاحبي يسْكُنُ معنا. يُسكّن آلامنا وينعش آمالنا. شراب ملكيّ

رهيب كسلاح له سحرُ مشيئة الحبّ المعمّرة وفاعليّة الحرب المدمّرة. بعد سريان عطره وكافينه في الأوردة والشرايين نستطيع أن نركّز. أن نحلّل ونخطّط ونفكّر بفلسفة عميقة: كيف سنستحوذ على ما نريد؟ وكيف لن نسمح بأن يستحوذ على ما لدينا من يريد؟

تنّورنا الذي كنت أخشاه لا تخشاه أمّي. أمّي حسناء. حسناء كما الملائكة التي لم نرها بعد. قويّة. قويّة كما الرّواسي الشامخات، ولعلّها أعطتها بعضا من قوّتها. أُمّ تدير بيتا لا يجوع سكّانه مهما كثروا وتكاثروا بلا شكّ توصف مثل ذلك.

تأمّلت غسّالتنا الفظيعة المريعة. كنّا نملكُ واحدة تمشي بلا استحياء أثناء العصرة الأخيرة، وتُثبت حضورها إلى أرض الدّيار رقصا ودبكا ما استطاعت أن تبتعد عن قابس الكهرباء. تريدُ منّا أن ننتبه لها. أن نلتفت إليها. وأن نخاف منها وعليها. أن نهدّأ من روعها. أن نزيح عنها ثقلها بأن ننشره. وربّما لم تكن تريد منّا غير أن نضحك.

لم نكن نباهي بها الجيران كما يفعل غفير من النّاس بسخف وهشاشة الآن مباهاة بمكانسهم الإلكترونية. ليس لأنّنا متواضعين. لم يكن في ذاك الزمان صفة يتّصف بها أهل القرى التي لا يُذكر لها اسم ولا تشير إلى عنوانها علامة على الخارطة غير ذلك. كلّ ما في الأمر أنّ جميع أهالي القرية كانوا يمتلكون غسّالات تتمشّى عند العصر مثل خاصّتنا، لا أكثر.

يبدو أنّني كبرت كثيرا. ويبدو أنّ تلك الغسّالة الأثريّة الأسطوانيّة علّمتني حكمة للحياة عجيبة: لكلّ منّا محن ومنح لها عصرات ورقصات، تتراقصُ أحوالنا رقصة ملفتة للانتباه عند عصرات مختلفة وليس فحسب عند الأخيرة.

* * *

تمرّ علينا أختي الكبرى كلّ يوم قُبيل ذهاب بنيّتها للمدرسة. سيرا على الأقدام، تأتينا لطيفة كنسمة صباح منعشة تطمئنّ علينا ومن ثمّ تذهب. منذ ذلك الزمن كنت أرى البيوت العامرة منظّمة تقسّمُ فيها المهامّ بين الأمّ والأب

بعدل ليثبت البيت صرحا شامخا أمام كلّ زلازل الصّعاب وبراكين الفتن. يسعى زوجها العزيز على رزقه في المزرعة من بعد صلاة الفجر ولا يعود إلى أذان المغرب، وأحيانا حتّى العشاء. تدير شؤون بيتهم ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وتقوم على متطلباته وتحفظه إلى أن يعود وبعد. هذه رزقتنا المكتوبة.

وهكذا سنشكر الوهّاب على ما أنعم به علينا وتفضّل وأكرم من عفو وعافية. بالشكر نستكثر، وبالحمد نستزيد، وبستر ذي الجلال والإكرام نعيش.

تجدل شعر صغيرتها الطّويل جديلتين خميلتين على عجل قبل أن نسمع جرس طابور الصّباح المدرسيّ المجاور السّعيد. تصنع لها شطيرة صغيرة من جبن قشديّ مستورد لم تسعفني الذاكرة لتذكّر اسمه الذاكرة. كانت بسمة أختي بهيّة. بسمة ابنتها من بسمتها أبهى. وأبهى من ابتسامة أمّي ما رأيتُ في بسمات العالمين ما عشتُ وما حييت.

لطالما ألحّ عليّ السؤال من خلف النّافذة بينما يخيّل إليهم أنّني أدرس: هل كان مكعّب واحد من تلك الجبنة الفرنسيّة كافيا لسدّ جوع الرّغيف العربيّ أم أنّها النّفْسُ الهنيّة الرّضيّةُ التي تجعلنا نشعرُ بالشبع من نكهة وتكتفي بتذوّق الطعم بكرامة ولا تطلب المزيد وإن وُجد؟ طبيب العائلة الذي عاش ثلاثين عاما في بيت ونور واحد، هاجر منه إلى بيوت وأنوار متعدّدة أربعين سنة.

كانت غرفة جميلة، بناها أبي كما بنى الدّار كاملة. سقفها مرفوع فوق جذوع أشجار إحدى عشر عرضيّة، يتوسّطها الثاني عشر ليزنها ويزيّنها. وتحمل الجذوع كلها فوقها صبّة لبنيّة، تحمي بحمى الرحمن من تحتها رزقا، وعيونا زُرقا وخُضرا وعسليّة وزيتونيّة وبنيّة، وبشرات سُمْر وبيض وحنطيّة، وشعور بعضها شقراء وبعضها كستنائيّة لثلاثة عشر ابن وابنة وسعتهم خمسُ حجرات بينها درجان، وساحة تعلوها مساحة على سطحها أرجوحة عتيقة، وظلّ صفصافة شامخة شموخ اليد العليا، وغرفتان ومطبخ صغير ثان، وكومُ سعادة وأكوام راحة.

* * *

حين وصلتُ إلى الحلم، أدركتُ شيئا فشيئا أنّ أحلامنا يُشْعرُ بها ولا يُحسّ. نشعر بلذّة الوصول لفترة دون أن نستشعر الراحة. كلّما صعدْت درجة ستكشف لك عن ساقيها درجات. كلّما بلغت مجدا، لوّحت لك من الأفق البعيد تناديك بشوق أمجاد، وتنتظرك على أحرّ من الجمر آفاق.

ستكتشف قُبيل سفر الرّوح الأخير عن الجسد أنّ الدنيا لم تكن أكثر من مجموعة أحلام، وأنّنا تأخّرنا كثيرا في إدراك أنّ الأحلام المحسوسة لم تكن يوما لتتحقّق لنا كاملة هنا، وأنّ كمال مشهدها الأخير بلا نقص سيكون هناك، وأنّ فصول الحياة الأربعة جمعتها لوحة جداريّة لها إطار برونزيّ تتصدّر أبهج غرف المنزل دون أن يفهم رسالة المرسوم الخفيّة بالألوان الزيتيّة عليها أحد.

تلك اللّوحة رافقتني ختام أيّامي ووثّقت مشاهد الخروج الأخير. وما زالت ترقب من عنهم أُخرجت حتّى السّاعة. كلّما استيقظت فجرا والأحبّة نياما، أمعنت النّظر بها، وتأمّلت حديقة أماميّة مرسومة فنّا بديعا لطالما سحرني وقت السّحر، وأقواسا معماريّة أربعة، تعلوها في الطابق العلويّ أربعة أُخرْ، وكرسيّين لوالدين رُزقا من زينة الحياة الدنيا ذرّية بارّة هنيّة، بينهما طاولة مستديرة، حوافّها لؤلؤيّة، سطحها زجاجيّ، يزيّنها كأس ماء يعطّره فلّ وياسمين وجوريّ وريحان، وفنجانا قهوة، وحلوى فستق وكعك بلديّ بالسمسم، وجريدة، ودفتر قديم دوّنت فيه بعض مذكّرات كهولتي وجُلّ ذكريات صباي.

تأمّلت كيف مرّ العمر مرور الكرام دون أن يشعر بي، وأنا الذي لطالما كنت به أشعر. تذكّرت شهري الأول هنا منذ أربعين عاما. تذكّرت تلك الغرفة التي سكنتها مع صديق لم يكن نعم الصديق. تذكّرت أحلامي المتواضعة آنذاك، حين كانت ترضى لمثلنا أن تتواضع الأحلام.

شابّ يتمتمُ في ثلاثينيّته، يتأمّل بداية مهجريّته وغرفة غربته، متسائلا: هل أحتكمُ يوما على خاصّة تشبهها؟ هل أقدر على استئجار مثلها مُستقلا؟ أريدها. أو مثلها. غرفة واسعة بعض الشيء تؤدّي الغرض وتكفي الحاجة، تتوسّطها حصيرة بلاستيكيّة رقيقة. على جدارين من جدرانها، تتكئ مرتبتان إسفنجيّتان

رفيعتان خفيفتان، فوقهما أربع وسادات قاسية. ربّما لطّفت قسوتها طواويس بالخيوط اللامعة الصينيّة غير الحريريّة على أوجهها مُطرّزة، وفي الزّاوية طاولة قصيرة تحمل تلفازا قديما حديثا ملوّنا صغير الحجم يبثُّ على شاشته غير المسطّحة وغير الذّكيّة محطّتين، فكأنّي حينها قد حيّزت لي الدنيا بحذافيرها بمساحة مُستأجرة مُشتركة لم تتجاوز مع كافّة منافعها وخدماتها بالكاد خمسة وثلاثين مترا مربّعا، يحاول عبثا أن يلطّف حرارة طقسها مكيّف صحراويّ مزعج، لم يكن صوته المدوّي بالتأكيد بحال من الأحوال لطيف.

نخطئ أحمق أخطائنا، ونزلّ أغبى زلاتنا، حين نغفل عن أنّنا نطلب من مالك مُعْط كريم باسط نافع، عنده خزائن الملك، ووسع ملكوته وكرسيّه السماوات والأرض. أخبرنا بالنّص الواضح: «وَأَن لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سعى» (سورة النجم. الآية 39). ووعدنا وطمأننا بالحرف: أنّنا سنُجزى «الجزاء الأوفى». وبين الوعد والإخبار سرّ الرؤية والبشرى التي لا نعرف لها زمانا أو مكانا، أو عنها كيفيّة أو حيثيّة، ولكنّها ستكون قولا فاصلا.

شاء الحكيمُ أن أحيا حياتي بين بيتين رئيسيّين: في كلّ واحد منهما ثلاثة عقود. وما بين الثلاثينين، عشتُ عشرا في بيوت متفرّقة أثناء تأسيس بيتي الثاني والأخير.

* * *

كانت تلك اللّوحة تشبهه وتشبهني كثيرا من الخارج. أمّا داخل كلينا فمستور لا حقّ لعابر سبيل بالاطلاع فضولا عليه، فهو ملْكُ الرّعية ولن يكون ملْكا لأحد سواهم.

ولو استأجره مستأجر جديد عداهم، أو ابتاعه بعدهم أحد، أو هُدّ البناء بما حمل بين أركانه من ذكريات، فالأرض تعرف أنّ هذه البقعة كانت وستبقى لنا وحدنا من بين كلّ العابرين. استر أسرار بيتك ما استطعت يعمر. هكذا علمتنا نوائب الدّهر وخطوبه.

لطالما تناقشنا هنا وحللنا العُقد. كانت هذه اللّوحة تستمتع بأسرار البنات

وتستمعُ لهموم الشباب. وكانت تضحك بين فينة وأُخرى حين تسمع وشوشتي لوالدتهم. أحنُّ لأنغام أُنسيُتها وأستذكر أنسام السّهر. على صفحتها كانت تتغيّر يوما بعد يوم الألوان دون أن ينتبه لذلك أحد سواي. ولا يغفل عن التفاصيل إلّا من لم يبد بها اهتماما منذ البداية.

حياتنا تشبه لوحاتنا العزيزة بشكل مّا. لن ترى لوحة عمرك مكتملة مرّة واحدة من نظرة خاطفة. نحن نكتمل على دفعات، ولا ننضجُ وتستوي أحوالنا دفعة واحدة. تُرْسمُ لوحتك بهدوء إنجازا بعد إنجاز وتجاوزا بعد آخر. المشهد المكتمل الأخير للوحاتنا ولوحات الآخرين كاللّؤلؤ المكنون: لا أحد منّا يدركه دون كفاح. وتلك متعة من متع الحياة العجيبة النّادرة التي لا يجرّبها إلا ذو عقل حكيم.

لدينا صفحاتُنا وأطروحاتنا الخّاصة، ومراسم وحوامل وبراويز وألوان غير معدودة، ومسودّات عليها نكتب ونرسم ونصحّح ونتعلّمُ ونجرّب وننقص ونزيد.

قد نتأخّر بالرسم، وقد نعيد كلّ ما رسمنا ذات قرار صائب وآخر متهوّر. ما همّنا لغو وبهتان مبُين، أو غيبة مبطّنة، أو ثرثرة بغرض نميمة، فلكلّ منّا توقيته المناسب ولحظة توهّجه الأنسب.

المعضلة التي تواجهنا عامّة أنّنا نتعجّل الرّزق، فنقارن لوحات لم تكتمل بأُخرى مكتملة. لا نفهم أنّ اللّوحات لا ترسم بطريقة موحّدة بين الرّاسمين. يتباين الإتقان، وتتفاوت السرعة ما بين مبتدئ وموهوب ومحظوظ ومحترف.

نصرّ على عسر الفهم حين لا نطمئنّ تماما إلى أنّ الرّزق قُسّم بإنصاف، ووزّع بحكمة. وكم يختلف البشر على تلك الواضحة، فيتفاوتون في سرعة البديهة التي تقودُ كلّ ذي نعمة إلى إدراك نعمته والاستمتاع بملكيّته واليقين حقّ اليقين بحكمته.

* * *

تقول بكْري إنّها كانت في طفولتها تقف طويلا أمام مرآتنا المستطيلة النّحيلة

الطويلة في الممرّ الداخليّ الموزّع للغرف، وتتمنّى لو أنّها تستجمع شجاعة، وتؤتى براعة وتستطيع إليها قفزا، والتمشية في أرجاء بيتنا المنعكس على سطحها وحيدا باردا فارغا لا يسكنه ولا يدفئ وحشته أحد.

حين أصبحت أوّل العنقود أُمّا، أخبرتني أنّها تريد لهذه المرآة وتلك اللّوحة أن تنتظرانا في الجنان. تريد أن تتذكّر أنّني ضممتها وإخوتها إليّ الضمّة الأخيرة أمامها وكأنّنا كنّا نبرم اتفاقا وعهدا سرّيا أنّ هذا الرّسم الجميل سيشبه بيتنا الذي سيستقبلنا بين الرياحين والبساتين والأنهار والأزهار وأسرار الأشجار هناك.

كانت كلّما اشتاقت إليّ تتأمّلها، وكلّما شعرت بأنّ الزبرجد يفتقدها كذلك تفعل. تهمسُ لعقلها الباطن كلّما همّت بخروج جديد في الحياة إلى الحياة من الحياة: إيّاك والانبهار بعد رؤية جزء وحيد من لوحة لم تكتمل ملامحها ولم تتضح معالمها بعد.

يتألّقُ النّور الجميل حين تُحلُّ الأحاجيّ وتجتمع الأجزاء وتبرق الأنوار ويكتمل بهاءُ الصّورة.

لكلّ قمر نور لا يفارقه، وشمس لا تخطئه. ولكلّ شمس قدرْ.

ثمّة نور جميل وسنا جليل أنت على موعد أزليّ معه لن تخلفه، بانتظارك إلى أبد الآبدين يا قمري.

زهرة يبرم

غفلة العمر + لست مجنونة

غفلة العمر

وقفتُ أمام المرآة أهيّئ نفسي لحضور حفل خطوبة إحدى الصديقات، تملؤني الغبطة بعودتي إلى الحياة الاجتماعية وقد كنت لأشهر طويلة أعتذر عن حضور المناسبات بسبب وضع صحي مؤقت انتهى بتتويجي بلقب تتمناه كل امرأة، مقرونا بأكبر مسؤولية في الحياة، فقد صرت أمّا لأجمل طفلة في الوجود.

عُدتُ إلى الحياة راغبة في أن أعبّ منها وألا أفرط في أية مناسبة تجمعني بصحبي وأهلي، وتلك كانت أول لمّة أحضرها بعد غياب. لكن الأمومة غيرت حياتي وصارت الرضيعة مكبحا لانطلاقي.

احترتُ وزوجي، الملزم بواجب الحضور أيضا، لمن نتعهد برعاية الصغيرة أثناء غيابنا؟ ولم تطل حيرتنا حتى اهتدينا لفكرة اصطحابها معنا. اتفقنا على أن تكون رعايتها مناصفة بيننا. ورغم الحرارة الموسمية المرتفعة جدا إلا أن قاعة الأفراح شاسعة ومكيفة ولا اكتظاظ فيها، لأن عدد المدعوين يكون محدودا في مناسبة كهذه.

حُلّت المشكلة ومُنِحتُ الطمأنينة ببقاء صغيرتنا تحت أعيننا فيتسنى لنا

إكمال الحفل حتى النهاية وإشباع شوقي لمجموعة الصديقات دون أن ينتابني قلق يضطرني للإسراع بالعودة.

حرصت على أن تكون أناقتي مميزة، من تسريحة الشعر إلى اختيار الفستان والحذاء، فانتقاء قطع الصيغة. ثم جعلت طفلتي أجمل أميرة. لم أرفع بصري عنها طول الطريق وهي كملاك بمهدها الخاص المثبت بالمقعد الخلفي. استهوتها لطافة جو السيارة الخاضع للتكييف فاستسلمت لنوم عميق. وكان والدها لا يفتأ يخطف منها نظرة بين الحين والآخر، فأسارع إلى المقود حرصا مني على سلامتنا، فيضحك من مبالغتي في الحب مترجما في الحرص والخوف.

ركن زوجي السيارة أمام القاعة، فحياه جمع من الأصحاب، فنزل ليسلم عليهم، فاغتنمت الفرصة ونزلت رافعة أطراف ثوبي، ودلفت إلى جناح النساء تاركة له مسؤولية الاعتناء بالطفلة خلال الجزء الأول من الوقت.

سارعتْ إليّ بعض الصديقات بالأحضان والقبلات. غمرنني بلطفهن وحفاوتهن وسط صخب الموسيقى والغناء. وسرعان ما قذفنني إلى حلبة الرقص، والعروس تختال كأجمل طاووس. أحطنا العروسة حلقة واندمجنا في جو من البهجة والمرح نسيت معه الدنيا وعشته لنفسي، غافلة عن واقعي.

انقضت سويعات الحفل بسرعة. ولكم وددت تحكمي بالوقت، لمددت فيه واستحوذت بشكل أفضل على الفرح المبعثر عبر لحظات الزمن، كي أنعم به بصورة تامة. وفي بعض الأحيان كنت أفكر بصغيرتي، وأشعر بالامتنان لنصفي الرائع الذي أبقاها معه بجناح الرجال واهتم بها كل الوقت.

ولما قارب الحفل على النهاية رغبت في أن تكون بحضني التقط معها صورا تذكارية رفقة العروسين والمجموعة. هاتفته أطلب منه أن يوافيني بها. ويا له من توافق غريب، فهو أيضا يريد آنسته الصغيرة ليظهرها لأصدقائه الذين طالبوا برؤيتها.

«لا تسخر مني. هاتِها»، قلت ضاحكة، فصاح كوحش كاسر «لا تجننيني أليست معك؟»

انقض عليّ هول كالصاعقة. إنه لأمر مخيف. تخلصت من كعبي العالي وهرولت نحو الباب، فوجدته هناك على السلم. أمسك بكتفي ورجني بقسوة مرددا نفس السؤال الذي أدخلني في هاوية يكتنفها الظلام: «أليست معك حقا؟»

تماسكت، فليس وقت التهاوي. جمعت قبضتي، وبما بقي بي من قوة كنت أضرب على صدره وأهذي بنفس السؤال: «كيف ليست معك؟»

وجم برهة، وجحظت عيناه كأنما تذكر ما هو أدهى فاستفاق من ذهول. دفعني ووثب ينزل السلالم بخطوات عملاقة، يزأر كأسد جريح: «يا إلهي. التكييف. قطعت التكييف وأغلقت النوافذ».

لما أفقت من غيبوبتي كان هناك قرب سريري. لم ينبس ببنت شفة. ولم أجرؤ على النظر في عينيه. لم يبق شيء نتكلم فيه. انتصر الصمت وقد وقف حاجزا قويا بيننا.

* * *

لستُ مجنونة

نفسيتي المهترئة بسبب هجرك أوهمتني اليوم أنني مجنونة بدون أوراق رسمية. لكن جنوني مسوّغ مهضوم. فأنت من قال لي يوما إن جنون الحب جميل صادق لا يكذب. ولا أراني إلا صادقة في خيالاتي المجنونة التي لا أجرؤ على كشفها لأحد إلا لو عدت لي، أكشفها لك وأتدارسها معك لعل بها شيئا من عقل أو قد تحضنها الحياة فيصدقها الواقع لتصير حقيقة.

من عمق إحساسي بالوجود وبك استوطن بروحي طفلٌ. طفلٌ يشبهك تماما، ويشبهني. جمعت حرفين من اسمك بآخرين من اسمي وابتكرت له اسما تفرد به. لا علم لك كم جننت به حتى صار طفلي، طفلنا، حقيقة. فضلا لا يجادلني بأمره أحد. كم حضنته تصورا حتى تشابه بالواقع فلم يعد لي بد من العيش بدونه. أضمه فيلتصق بصدري ويمنحني دفئا وحياة، وأكلمه فيسمعني ويفهمني ويسري تفاعله في شراييني. إنه الوحيد الذي يفهمني بعدك، بعد

تخليك عن الإصغاء لي وفهمي. ولقد صار يعرفك ويحبك لكثر ما أحدثه عنك. وتعاظم حبه فتطور إلى اشتياق.

لقد جن طفلي بك وجننت بكما ولم يجن بي أحد، لكنني لست مجنونة. ليس مجنونا من يتخيل، وابننا أجمل ما عرفت من خيال مذ عرفتك وعرفتني وتركتني لأنني...

لست عقيمة وخيالي خِصبٌ يحبل بروائع الأطفال والأفكار. لست عاقرا، وخيالي حبل بطفل جميل يَندُر أن تنجب مثله بطون النساء.

لكن قسما بربكما وربي لست مجنونة.

نعيش ثلاثتنا في خلوة بالقمر، نهِبُ دروسا للبشر في معنى الحب والحياة. صدّق، فكلامي لا ينبع من الجزء المعطوب بعقلي. فقط لو تعود ونعيش ثلاثتنا معا ستمتد بنا جذور الحياة. سنعمّر كثيرا.

أرأيت بربك كيف غير طفلي حياتي؟

هل أحكي لك ما حصل اليوم؟ خرجت كعادتي أتمشى، وكان على مشواري محل لبيع ملابس الأطفال. لا إراديا دخلته، فالملابس جميلة تغري أيّ أم بالدخول. قلبت الأثواب واحدا واحدا أتأمل كل قطعة جيدا. أبعدها ثم أدنيها من ناظري وأقرأ بدقة ما هو مكتوب عليها. أرتبها وأعيدها مكانها بعناية. وكلما أبهرتني قطعة تمنيت اقتناءها لطفلي. وكم تمنيت لو كنت معي لتبدي رأيك فيما رأيت.

الحقيقة أنها لم تكن المرة الأولى التي أدخل فيها المحل، فكل مرة تغريني معروضات الواجهة أرغب برؤية الجديد من الملابس الملائكية. وأظن أن التاجر صار يعرفني. يعرف مسبقا أنني لن أشتري شيئا، بل أشتري بخيالي. وربما يعرف أيضا حقيقة طفلي. مع ذلك يبتسم لي عند خروجي ويحني لي هامته.

بشرفك ألست مجنونة؟

د. عبد الحميد صيام

ديوان «بيت بيوت» لهبة بعيرات

محاولة لإعادة ترتيب الفوضى

التقى لفيف من أبناء الجالية الفلسطينية والعربية في مركز الجالية الفلسطينية بمدينة كليفتون، بولاية نيوجرسي للاحتفاء بالشاعرة هبة بعيرات بمناسبة صدور ديوانها الشعري «بيت بيوت». وقد ألقت الشاعرة عددا من قصائدها وأجابت عن عدد من أسئلة الحاضرين.

تم في هذا اللقاء تبادل الآراء حول الشعر ودوره وحول ديوان هبة الأول وأهمية هذه اللقاءات الأدبية والفنية التي تسهل الهروب من السياسة والنزاعات والتحديات الكونية إلى رحابة الشعر وموسيقاه الداخلية التي يضيفها إلى النص كل قارئ بطريقته وتجربته وخلفيته. وقد ألقى الكاتب هذه الكلمة تعليقا على الكتاب بعنوان «إعادة ترتيب الفوضى».

أهدتني الشاعرة هبة بعيرات قبل شهر نسخة من ديوانها الأول، وسألتني تكرما أن أعلق على ديوانها في هذا اليوم. وقد جدفت في الديوان مستخدما إبحاراتي العميقة في مدارس الشعر وعيونه القديم منها والحديث: من الملك الضليل الذي قيّد الأوابد وطلب من الليل أن ينجلي بعد أن شدت نجومه بجبل يذبل، إلى الشاعر الذي نظر الأعمى إلى أدبه وأسمعت كلماته من به صمم،

وجمع المجد من أطرافه: خيل وليل وبيداء وسيف ورمح وقرطاس وقلم، إلى الذي صرخ في الدنيا حديثا «نحب الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلا، فعلى هذه الأرض ما يستحق الحياة».

أقف الآن مستحضرا ما أستطيع من قدرات أدبية في محاولة أن ألملم هذه الزفرات المبعثرة والعميقة والشفافة التي تخرج من مخيلة شاعرة مبتدئة وجدت نفسها في ديار الغربة أمام أسئلة كبيرة ومعقدة تنهال عليها كالمطر. لكن الأجوبة تفر من أصابعها كالرذاذ. من قال إن الشاعر مطلوب منه أو منها الإجابة عن أسئلة وجودية؟ من قال إن الشاعر مسؤول عن إعادة ترتيب الفوضى ليقدمها لعالم فوضوي أصلا.

الشعر في اللغة العربية مرتبط بالشعور والأحاسيس. وفي اليونانية مرتبط بالحكمة. وفي الألمانية مرتبط بالعقل، فنحن قوم نطرب للكلمة ونحبها ونحفظها ونرددها ونغنيها. وقرآننا العظيم من أحد جوانب إعجازه اللغة فقد جاء في الذكر: «هذا لسان عربي مبين».

والشعر العربي كأي كائن حي: ينمو ويزدهر ويخفت ويعلو ويخترق المسافات ويشنف الآذان ويحرق القلوب ويبني الجسور ويحرك الجماهير وينوّم الكسالى ويوقظ الأمم. لقد ظل هناك جمهور للشعر الجيد على مر العصور. والآن وفي عصر الشبكة العنكبوتية والأقمار السبريانية هل بقي مكان للشعر؟ سؤال متروك لكم جميعا. أما أنا فالشعر جزء من كياني وقد بدأت أغازل الشعر في صباي. لكن بعد دخول معترك السياسة وتعقيداتها، «ضاعت الأشعار مني وهي يوما ضيعتني».

الشعر الحديث لا يعتمد على النغم الخارجي المقفى والموزون، كما أراد لنا الخليل بن أحمد وألزمنا ببحوره الستة عشر. لكنه يتفجر من الداخل أحاسيسَ وصورا وموسيقى عميقة، ويتحدى خيالك أن تلتقط المعاني التي في نفس الشاعر. وفي عملية البحث تستمتع بالشعر الحديث، حيث يقف المتذوق أمامه ليغرف منه ما يحلو له. كل واحد يفسره على هواه ويتذوقه على هواه.

وقد لا يلتقي تفسيران على مقطع أبدا: كاللوحة الفنية في عصر ما بعد بيكاسو والمجنون سلفادور دالي اللذين تحديا المشاهد أن يفهم ما يخطر لهما من لوحات أو ينصرف عن الفن ويذهب في حال سبيله.

كم صرخ الناس في أدونيس كي يبسط شعره وكان يصر على «أن من لا يعجبه شعري إذن أنا لم أكتب له فليتركني ويمشي». إنه الشعر الحديث من جيل ما بعد بدر شاكر السيّاب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي ومجلة «شعر» في بيروت التي أصدرها يوسف الخال عام 1957.

هذه النفثات التي ألقتها علينا هبة موزعة في مقطوعات شعرية، ولا أسميها قصائد. هي خلجات شعور عميق ينفعل لما يرى ويطلق تأملات وردات

فعل قد تبدو غير مترابطة ولا متجانسة للقارئ العادي، إلا أنها في النهاية تبني صرحا كبيرا من التأملات الوجودية أمام عصر غاب فيه كثير من المنطق والانسجام والتراتيب والتفسيرات المعقولة والاتزان والخطوط المستقيمة. عالم مترامٍ ومبعثر تحاول هبة في باكورة أعمالها أن تستل منه لوحات متلاحقة، الواحدة بعد الأخرى تتلوها علينا صورا وموسيقى وزفرات، وتتحدانا أن نعيد المنطق لعالم من غير منطق. فهي ترى عالمنا صورا معلقة في الهواء بلا جدران ولا إطارات، صورا ناقصة لكنها أجنحة تسعفنا في ساعات الريح والعواصف لنتأكد أننا أحياء رغم هذه الفوضى (سيرة ذاتية: ص 36).

في الديوان أدب وعلم وسياسة واقتصاد وفن وحب ويأس وثورة ورفض للهزيمة. لكن عليك أن تكتشفها بإعمال عقلك واستكشاف ما خفي منها، فهبة لا تعمل في مطعم الوجبات السريعة لتقدم لك همبرغر لتسد جوعك وتمشي ثم تختفي في الزحام، بل تقدم لك شذرات مبعثرة من قلبها وفكرها وروحها، وتتحداك أن تجمعها بعناية لتعيد بناء الوطن أو الذاكرة التي تدلك على الوطن.

الهزيمة تأتي لأننا نتكالب على بذور الثورة البازغة من الرواية الأصلية، إلا أن هناك من لا يريد لها أن تنضج وتنهض فينقض عليها بفأسه (هزيمة: ص 102). قد يبدو الفارس من أول وهلة أنه جاء ليحرر المدينة من كوابيسها وفوضاها وخطوات المشردين. يشمر عن زنديه وينزل الميدان. إلا أنه غيّر الطريق وانهار واختفى، ووُجد أخيرا في فراش المدينة (منازلة: ص 112) رغم أن أحدا لم يغدر به، بل دخل الحانة، وهناك تمت إعادة صياغته فبحث عن مسرب ولو ضيق لإرضاء المدينة وانتهى به الأمر أن نام في فراشها.

كلما تعلمت شيئا لتصل إلى المعرفة تثور حولك العواصف. تتقدم خطوة في طريق المعرفة، لكنك ما تلبث أن تتراجع، فهل تتوقع أن تصل نهاية الطريق؟ ذكرتني هبة بعيرات بسيد الكلمة الشاعر محمود درويش عندما قال: «فهل ضاق الطريق، ومن خطاك الدرب يبدأ يا رفيق». اتركي هذا المسيح الذي يضحي من أجل شعبه ويقف عاريا أمام المعابر ليحمي شعبه ثم يكتشف أنه لا يحمل أي هوية تسعفه فيتبعثر مثل الآخرين (متى إذاً: ص 60). العسكر لا يتركونه في حاله، فهم يدوسون على مكونات جسده من قلب وأبواب وستائر، فيتوهمون أنه مات، لكنه ينام فقط ليخدعهم ولكنه ينهض من جديد. إنه مسيح ذلك الزمان ومسيح هذا الزمان. وكأني في نفس الشاعرة التي تطلق هذا الإشارات الغامضة ليلتقطها المعذبون في الأرض أمثالنا نحن الذين نعرف أن طائر الفينق يحترق ثم ينتفض من الرماد حيا ويواصل المسيرة (قطع: ص 105).

كيف لي أن أعيد ردم هذا الخراب لأعيد للأشياء رونقها وسحرها بعد أن تتوقف الحرب. الأسلحة كلها صدئت ولم يبق أمامي إلا أن أستعير عيون الآخرين وأذرعهم وأصواتهم لكي ننتصر على الخراب. العمل الفردي لا يجدي بل الجمع هو الذي يعبر المسافات وينتصر على اليأس والحرب (إعارة: ص 82). حذار من السهو: تقول الشاعرة بدون مواربة. الغرباء سكنوا بيوتنا وأحلامنا، وتسللوا من ثقوب ضعفنا. لكن علينا ألا نواجههم بالنعاس والسهو، وإلا فنحن لا شك ضائعون (استحقاق: ص 74).

إنها العرافة والحصافة

الرحلة في الديوان ليست سهلة. وأنا جازفت وخضتها. وقد ترضى عني هبة أو تغضب. لكنني استمتعت بقراءة الديوان. بعض القصائد قرأتها مرتين وثلاثا. وكلما أعدت القراءة، انكشف لي سر جديد ومعنى جديد أو حيرة جديدة. سيري في درب التجلي واكتشفي مزيدا من خلجات النفس الممزقة في الغربة. وجمّعي كل هذه الشظايا لعلك تعيدين ترميم بعض الخراب الذي لحق بنا جماعة وأفرادا.

وأجمل ما في الأمر أنك في نهاية المطاف اهتديت إلى الصواب وصرخت: «كل شيء معد للسكون، كأبسط أشكال النهاية، حين فجأة يلمع في عيني طريق» (رحيل: ص 125). اهتديت إلى النور بعد العتمة ونحن سنهتدي كذلك يوما. أنا واثق أن الخطوة الأولى ستقود إلى مساحات أوسع، وتجليات أعمق، لتحفري لك اسما بين شعراء ما بعد الحداثة.

= = =

هبة بعيرات: شاعرة وكاتبة فلسطينية تعيش في الولايات المتحدة الأمريكية وتمارس مهنة المحاماة. وتعمل باحثة قانونية مع عدد من المراكز الحقوقية في ولايتي نيويورك ونيوجرسي. حاصلة على شهادة الماجستير في القانون الدولي وحقوق الإنسان من كلية واشنطن للحقوق، بالجامعة الأميركية في واشنطن العاصمة، وشهادة البكالوريوس في القانون من جامعة بير زيت بفلسطين. عرضت مجموعتها الشعرية «بيت بيوت» على مسابقة الكاتب الشاب عام 2019 التي تقيمها مؤسسة عبد المحسن القطان فقررت لجنة التحكيم أن تطبعها في كتاب.

عبد السلام بحاج

مفهوم التاريخ عند حنا أرنت

لتحديد مفهوم التاريخ، عادت حنا أرنت (*) للغوص في أعماق التاريخ الإغريقي القديم، بدءا من هيرودوت، الذي يرى أن علة وجود التاريخ، هي إنقاذ الوقائع والأحداث الإنسانية من النسيان، لكون الإنسان يملك حياة فردية، وسيرة خاصة، عكس الكائنات الأخرى التي تعتبر أرقاما فقط في القطيع الذي تنتمي إليه[1]. وترى أرنت أن حركة التاريخ تبدأ في التشكل على شاكلة الحياة البيولوجية للإنسان. وبالتالي، فإن حركة الأحداث التاريخية يجب أن تكون دائرية[2]. كما تعتبر المؤرخ الإغريقي، توسيديد، أول من وضع قواعد الإسطوغرافيا التاريخية[3].

الإنسان، المحكوم بالموت والزوال، يجعل من أفعاله موضوعا للحكي التاريخي، فيتم دوما التركيز على البحث عن الأحداث التاريخية من قبل المؤرخين. إن التراجيديا هي مصدر التاريخ، لأن الشخص المتلقي والراوي وصاحب المعاناة هم أبطال الأحداث التاريخية. ولأن كل الدوافع، الأمر والفضول الخالص والرغبة في الحصول على الأخبار الجديدة، تلعب دورا كبيرا في عملية البحث التاريخي، فالتاريخ ليس سوى عملية التعرف على الجديد؛ والشعر ليس سوى مادة للحصول على المتعة واللذة.

إن الأقوال والأفعال والأحداث لا تترك أثرا، ولا يبقى لها وجود في غياب الذاكرة، وفي غياب صناعة التدوين والسرد التاريخي[4].

لذلك، تخليد الأحداث والأقوال الكبرى، لا يتم إلا بالتدوين. وهذا كله تحكمه الرغبة في الخلود. يبقى الناس خالدين كونهم يخلفون أبناء يخلدون ذكراهم، في إطار وحدة الصيرورة الأبدية[5]. والتاريخ يجمع في ذاكرته الأموات الذين برهنوا عن ذاكرة حياتهم بالقول والفعل، وخلدوا أسماؤهم لكيلا تموت.

إن التاريخ في نظر حنا أرنت، سابق على زمن هيرودوت؛ وعلى زمن هوميروس، لأنه يصعد إلى زمن الملك أوليس الإغريقي ، الذي كان يسمع في بلاط فياشيان أفعالهم وأقوالهم وحياتهم ومعاناتهم الخاصة، التي صارت موضوعا للسرد وللحكي التاريخي[6].

إشكال الموضوعية في الكتابة التاريخية

عرف القرن التاسع عشر في أوروبا تعارضا بين علم التاريخ والعلوم الطبيعية، فيما يخص الاعتقاد بالموضوعية في البحث والتأليف، وذلك بالاعتقاد السائد في الدقة المطلقة، التي تتميز بها علوم الطبيعة. لكن هذا الاعتقاد صارت اليوم شيئا من الماضي، حيث أصبح لعنصر الملاحظ الذي يراقب التجارب (الذي هو الإنسان) يفرض نوعا من الذاتية التي تؤثر على نتائج البحوث العلمية في هذه الميادين[7]. والإشكال بين «موضوعية» العلوم الطبيعية، و»لا موضوعية» التاريخ فقدت الكثير من معانيها.

إن الموضوعية في أحد معانيها، تعني رفض تدخل المؤرخ في تأويل المادة التاريخية، ولا في إصدار أحكام بشأنها، فكل جمع وتحديد للوسائل المادية ولمعايير البحث هو بمعنى ما تدخل في سير التاريخ[8].

ومع تطور العلوم، خصوصا في مرحلة ما بعد الحداثة، فقد إشكال الموضوعية بعضا من بريقه، وأصبح المؤرخ يبحث عن تعليلات جديدة. وترى أرنت أن المعيار الذي يجعل من التاريخ موضوعيا هو اعتباره ظاهرة دورية.

وسؤال الموضوعية لا يطال التاريخ وحده، بل يشمل كل مكونات الإسطوغرافيا التاريخية، من شعر وقصص وأساطير[9].

كما تطرقت حنا أرنت لمجموعة من المعيقات التي تعترض بناء الموضوعية في الكتابة التاريخية، من بينها الشعور الوطني وكتابة التاريخ الوطني، الذي يُبنى غالبا على نوع من التحيز والتزلف للحكام، أو على عاطفة الانتماء للوطن أو للقومية والدين. وهذا التحيز قد يصل إلى درجة الشوفينية، مما يقف أمام صناعة تاريخية علمية.

وقد أعطت مثالا بكتابات الإغريق، كهيرودوت، التي تميز بين الإغريق «المتحضرين» والشعوب الأخرى التي وصفها بالبرابرة. بينما نوهت بكتابات توسيديد، التي تُعتبر شاهدا حيا على الموضوعية، وأيضا على موضوعية أشعار هوميروس[10].

الحقيقة التاريخية

يعتبر الشك من أهم المبادئ التي تأسس عليها الفكر الحديث، فهو من المعاني التي تعد القلب النابض لفخر الفكر العلمي، حتى صار بدءا من القرن العشرين، مصدرا للضعف والقلق[11]، فالعقل عوضا عن أن يكون ضوءا داخليا يكشف عن الحقيقة، كما كان الأمر عليه في الفكر الميتافيزيقي واللاهوتي، فهو يعتبر مجرد «ملكة» بسيطة تقوم بعمليات ملموسة، كالتخطيط والتنفيذ والتقويم وحساب النتائج، لأن الانطباع الأساسي الذي تظهره التجربة اليومية للإنسان، يمثل في نظر حنا أرنت حقيقة «كاريكاتورية»[12].

لقد ساهم تطور العلوم الطبيعية، والرياضيات كعلم تجريدي، في تطور علم التاريخ واستلهامه لأدوات الربط والبرهان والاستدلال المنطقي. وساهم التعرف على أبعاد المجال الجغرافي، والتحكم في الظواهر الطبيعية والديموغرافية والإحصاء والاقتصاد، في تطور التاريخ، وفي قدرة الإنسان على صناعة النص التاريخي. لذلك فالحقيقة التاريخية، كما يرى فيكو، يمكن معرفتها من قبل

الإنسان. وهذا صار التاريخ السيرورة، التي تملك الحجج القوية الدالة على عمل الإنسان وحركته في الطبيعة.

= = =

الهوامش

.

(*) Hannah Arendt

[1] Arendt Hannah, La crisede la culture, Haut exercices de pensée politique, Traduit de l'Anglais sous la direction de Patrick Lévy, Gallimard, Paris, 1972, p. 59.

[2] Ibid, p. 60.

[3] Ibid,66.

[4] Ibid, p. 62.

[5] Ibid, pp. 65-66.

[6] Ibid, pp. 62-63.

[7] Arendt Hannah, La crisede la culture…op.cit, p. 67.

[8] Ibid, p. 68.

[9] Ibid, p. 70.

[10] Ibid, p. 71.

[11] Arendt Hannah, La crisede la culture…op.cit, p. 76.

[12] Iid, p. 77.

رحيل الفنانة التشكيلية

منى السعودي

انتقلت إلى رحمته تعالى الفنانة التشكيلية النحّاتة الأردنية، منى السعودي، في بيروت يوم الأربعاء، 16 شباط (فبراير) 2022، وشيع جثمانها في عمّان يوم السبت.

انتقلت من عمّان إلى بيروت في مطلع شبابها، ثم درست النحت في باريس وتخرجت عام 1973. اختارت العيش في العاصمة اللبنانية حيث توفيت عن عمر يناهز ستة وسبعين عاما. أقيم لأعمالها معرض عديدة.

مؤسسة شومان الثقافية

مسابقة: الكتابة للأطفال

فتحت مؤسسة عبد الحميد شومان الثقافية في الأردن باب المشاركة في مسابقة خاصة بأدب الأطفال للعام 2002، وهي تستهدف الفئة العمرية 9-12 عاما. المشاركة مفتوحة لمن لا تقل أعمارهم عن ثمانية عشر عاما، شريطة أن يكونوا من حملة الجنسيات العربية، أو من أصل عربي.

تشترط المسابقة أن تكون المشاركات مستوحاة من الحكايات الشعبية العربية، وأن يكون عدد كلمات المشاركة 1500-2500 كلمة، وغير منشورة سابقا. يحصل الفائزون/الفائزات في المسابقة على المبالغ التالية:

المركز الأول: عشرة آلاف دينار أردني (14000 دولار).
المركز الثاني: خمسة آلاف دينار.
المركز الثالث: ثلاثة آلاف دينار.

آخر موعد لتسلم المشاركة: 30 نيسان (أبريل) 2020. المزيد من المعلومات في موقع المؤسسة:

https://www.shoman.org

أشواق عمر مليباري

مزنة + عائلة السيد مارش

صـدر للكـاتبة السعودية، أشـواق عـمـر ملـيـبـاري، كتابان، أحدهما قصة طويلة/رواية قصيرة عنوانها «مـزنــة» والآخـر مجـموعـة قصـصية عنوانـها «عائلة السيد مارش». الناشر: دار تكوين، جدة، السعودية (2021).

أحداث «مزنة» تتعلق بقحط يجبر بدو منطقة جبلية على مغادرة ديارهم بحثا عن مكان فيه ماء. الشخصية الرئيسة في الحكاية «مزنة» التي ساد اعتقاد أن زوجها هلك في واد أثناء البحث عن مكان جديد. لكن أحداث القصة تجعلهما يلتقيان في النهاية، وتتعرف عليه من خلال حداء كان يحدو به الإبل التي يرعاها قبل الحادث في الوادي.

تتضمن «عائلة السيد مارش» مجوعة من القصص، سبق أن نشرت الكاتبة بعضها في مجلة «عود الند» الثقافية. أما القصة التي أعطت المجموعة عنوانها فهي من وحي تصرفات العائلات بعد فرض حجر في دول العالم للحد من انتشار وباء كورونا.

هذا وقد أهدت الكاتبة مجلة «عود الند» الثقافية نسخة ورقية من الإصدراين. هيئة التحرير تشكرها على الهدية. للاطلاع على قصص المجموعة التي سبق نشرها في «عود الند»، استخدم/ي الرابط التالي:

https://www.oudnad.net/spip.php?auteur24

سارة أبو مرجوب

هدية لـ «عـود الـنــد»

أهدت الكاتبة سارة أبو مرجوب مجلة «عود الند» الثقافية نسخة ورقية من كتابها «واو عطف» الصادر في عام 2020 عن دار الرواية العربية، عمّان، الأردن. يتضمن الكتاب أكثر من ثلاثين نصا وجدانيا قصيرا. أدناه نص من الكتاب بعنوان «موسم الزيتون».

زيت وزعتر تناقلا أخباري
على بساط السرعة في كافة أنحا قريتي
بعد أن كشفت أمري كسرة خبز «محروقة»
إليكم حكايتي والحطب يحاصرني:
أنا أحب الزيتون
لامتزاج لونيه الأخضر والأسود في عينيها
وأنقش على حباته أهازيج تراثنا وأعصر منه لوعتي وقلة حيلتي
ثم أعلق أمنياتي على حبالي، لعل وعسى.

مختارات: ميخائيل نعيمة

جبران خليل جبران

أدناه مقدمة كتاب ميخائيل نعيمة عن حياة صديقه جبران خليل جبران. عام نشر الكتاب 1934.

اعتذار

ترددت كثيرا قبل أن أقدمت على وضع هذا الكتاب لأني لست أؤمن بأن في الناس من يستطيع أن يصف من حياته حتى لحظة واحدة بكل ما فيها من معان مشتبكة بمعاني الحياة الكونية- فكيف بمن يحاول أن يحصر بين دفتي كتاب حياة غير حياته، سواء أكانت حياة عبقري أم حياة بربري، وسواء أكان نصيبه من فن الكتابة وفيرا أم يسيرا؟

وعندي أن كل ما يرويه الناس باسم التاريخ ليس إلا رغوة متطايرة فوق بحر الحياة الإنسانية. أما أعماق الإنسان وآفاقه فأبعد وأوسع من أن يتناولها قلم أو يستوعبها بيان، فنحن حتى اليوم لم نكتب «تاريخ» إنسان ولا «تاريخ» شيء على الإطلاق. ولو أننا كتبنا تاريخ إنسان واحد لقرأ فيه تاريخ كل الناس. ولو أننا دونا تاريخ شيء واحد لطالعانا فيه تاريخ كل شيء.

ثم إن في حياة كل إنسان «أسرارا» يكتمها عن الناس. وأنا قد وقفت على

البعض من أسرار جبران وفاتني منها الكثير. فهل يليق بي أن أبوح ولو ببعض الذي أعرفه؟ وإن أنا كتمته، فما معنى الذي أكتبه؟ أأخون نفسي والقارئ وجبران بكتمان ما ليس مكتوما في سجل الحياة الكبرى — وإن كان مستورا عن أعين الناس — فأصوره صورة لا وزن لها بين ظلالها وأنوارها، لأرضي بعض من لا ذوق لهم في الحياة، وأجور على ذوقي وأدفن رأيي في التراب؟ وإن أنا لم اكتمه، فكيف لي أن أبوح به من غير أن أظهر في عين القارئ كما لو كنت أدين أخي بهفوات قد لا أكون بريئا منها؟

وبعد ذلك، فكيف لي أن أكتب عن جبران من غير أن أذكر نفسي. فهل يفهم القارئ أني ما فعلت ذلك إلا مضطرا، وأني أكره التحدث عن نفسي، لا سيما في كتاب أحدث فيه عن سواي؟

تلك بعض الأسباب التي دعتني إلى التردد في وضع هذا الكتاب. لكنني عندما عدت إلى الشرق بعد عام لوفاة جبران، وجدت صديقي يكاد يكون أسطورة من الأساطير حتى في بلاده، فهو ليس جبران الذي رافقته خمس عشرة سنة، وخبرت أحلامه وآلامه، وبلوت قوته وضعفه، ورقبت جهاده العنيف مع نفسه والعالم، وقاسمني أشواقه وأفكاره، وشاركته في أفكاري وأشواقي.

ولكم سمعت أدباء ومتأدبين يطالبونني بكتابة ما أعرفه عنه. فمنهم قائل إن ذاك دين في عنقي. ومن قائل إنه واجب عليّ للأدب، ولا مناص لي من تأديته. ومن قائل إن سكوتي في مثل هذه الحالة ضرب من الإثم.

فكان من ذلك كله أني تغلبت على التردد، فألفت هذا الكتاب، على أمل أن يطالع القارئ من خلال فصوله صورة جبران كما عرفته، لا «تاريخ» حياته الذي لا يعرفه أحد، وأن يقع فيه على دروس في الحياة التي يشترك فيها كل الناس بالسواء. وها أنا أرسله في سبيله عالما حق العلم أن ما فيه من صراحة سيرضي البعض ويغيظ البعض ويدهش الكثير ممن لم يعرفوا جبران إلا في ما قرأوه من أدبه واطلعوا عليه من فنه.

لكنها صراحة لست لأتخلى عنها، فلولاها لما كان الكتاب أهلا للنشر. ولولاها لانطمس أجمل ما في حياة جبران: وهو صراعه المستتب مع نفسه لينقيها من كل شائبة، ويجعلها جميلة كالجمال الذي لمحه بخياله، وبثه بسخاء في رسومه وسطوره. فالفن مهما تسامى في نظر صاحبه ونظر الناس ليس من الأهمية على شيء، ما لم يترجمه صاحبه والناس إلى قوة تنشط بهم من عقالات المعيشة المحدودة إلى حرية الحياة التي لا تحد — من الإنسان في الله إلى الله في الإنسان.

والأدب، مهما جمل، لا معنى له إلا على قدر ما يكشف معنى الحياة الذي هو أثبت من الأرض وأبقى من السماء.

ميخائيل نعيمة

بسكنتا، لبنان، في 15 حزيران (يونيو) سنة 1934.

= = =

نعيمة، ميخائيل. جبران خليل جبران: حياته. موته. أدبه. فنه. 1934. مطبعة لسان الحال، بيروت 1934.الصفحات أ، ب، ت.

مختارات: محمد زنـبـيـر

كان من الواجب احترام الموضوع

أدناه أدناه مقتطف من المجلة الثقافية المغربية «أقلام». السنة الأولى. العدد الخامس. تشرين الأول (أكتوبر) 1964.

مناقشة: كان من الواجب احترام الموضوع وصيانته من العبث

كنت آمل، بعد المقال الذي كتبته في أول الصيف (1) حول ما يجب أن يكون من علاقة بين إنتاجنا الأدبي والمجتمع الذي نعيش فيه، أن يفتح باب للمناقشة المفيدة، لأن الموضوع جدير بأن يحظى بقسط كبير من اهتمام الكتاب، سيما في هذا الظرف الذي بدأ البعض منهم يفكرون بشيء من الجد في إنعاش حياتنا الثقافية بالتأليف والابتكار والخروج من الجمود الفكري.

ولم أكن أتوقع أن السيد محمد برادة في رده على ذلك المقال سيتجنب هذا الموضوع الحيوي الذي يتطلب اختيارات عن وعي، ليحدثنا من جهة عن عموميات تتعلق بالعلاقات بين الشعوب والحضارات في عصر اليوم، وليبحث، من جهة أخرى، عن هويتنا السياسية وانتمائنا المذهبي. ومهما يكن، فهذه طريقة في المناقشة لا تتفق في معناها ومبناها مع الروح المنهاجية التي انبثق عنها الفكر والثقافة في زماننا هذا.

لذلك، سأكون مضطرا إلى شيء من الصراحة في جوابي هذا، فقد اكتفيت في المقال الأول بنوع من الإيماء والتلميح لأني لم أكن أقصد السيد محمد برادة بالذات، وإنما سقته كمثال له أشباه ونظائر متعددة.

وكنت في الواقع لا أقصد إلا انتقاد نزعة طغت على بعض شبابنا المتعاطين للكتابة وجعلتهم يفرطون، عن حسن نية في الغالب، في التحدث عن المذاهب الأدبية والفكرية في أوروبا الغربية، متغافلين عن الالتزام الذي يكون بين الكاتب ومجتمعه، متناسين ذلك الرباط القوي الذي يجمع بالضرورة بينهم وبين جمهورهم، إذ لا يخفى على أحد أن الثقافة القومية تنبثق وتزدهر من هذا اللقاء المتواصل والحوار المستمر بين الكاتب وجمهوره.

ومهما انعدم هذا التواصل، فإن الكاتب يصبح أجنبيا على قومه، لأنه بدل أن يحدثهم في الأشياء القريبة منهم، والتي منها تتكون حياتهم، يجلب لهم الأقراص الفكرية من البلاد البعيدة، ويقدمها لهم كأفيون يتناسون به بؤسهم وشقاءهم.

فأنا، إذن، لم يكن يهمني أن أنتقد شخصا معينا، بقدر ما كان يعنيني أن ألفت النظر إلى هذه النزعة، وما ينطوي تحتها من لا مسؤولية تغيب عن الفطنة لأول وهلة.

وأبدأ أولا برفع التباس فيما يتعلق بإحدى المسائل التي عالجتها في مقالي السابق، فأنا حين تحدثت عن بعض كبار الكتاب بفرنسا من أمثال جيد وسارتر وكامو، وبيّنت أن مشاغلهم، بحكم اختلاف الظروف التاريخية، لا تلتقي مع مشاغلنا، لم أكن أقصد من ذلك انتقادهم أو التنديد بهم، بل إنني أعتبرهم بالنسبة إليّ وإلى كثير من أبناء جيلي كأساتذة محترمين ومحبوبين تعلمنا منهم الشيء الكثير، واستفدنا منهم تكوينا فكريا وثقافيا نعتز به دائما.

ولكن علاقة التلميذ بالأستاذ ليست عملية بيع وشراء يلتقي فيها الوفاء والاعتراف بالجميل مع العبودية الفكرية، بل إن أهم ما علمنا هؤلاء الأساتذة هو روح التمرد وحرية النقد والاعتراض، لأنهم هم أنفسهم قاموا في بلادهم، فأعطوا المثل في مقاومة الأفكار السائدة التي كانت ترمي إلى تجميد العقل وروح الابتكار في المجتمع الفرنسي، وفي فتح آفاق جديدة للذوق الفني.

إنهم كانوا ولا يزالون يقدرون الحرية في الشخص إلى حد أنهم يفضلون المنتقدين لهم والمعترضين عليهم، على أولئك المعجبين الذين يترامون على أقدامهم في شبه استسلام وخضوع.

= = =

(1) مجلة «أقلام» المغربية، العدد الثالث، 1964.

https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/Aqlam/Aqlam_1964/Issue_5/index.html

للباحثات والباحثين

مـواقـع أرشـيفـيـة

إيمانا من هيئة تحرير «عود الند» بأهمية المراجع للتمكن من إعداد بحوث عالية الجودة، نشير بين الحين والآخر إلى مواقع غنية بالمراجع المفتوحة. وفي هذا العدد (الفصلي الرابع والعشرون؛ ربيع 2022) نود الإشارة إلى المواقع الأرشيفية التالية:

أرشيف المجلات الأدبية والثقافية العربية.

http://archive.alsharekh.org

أرشيف أعداد مجلة «الآداب» الورقية: 1953-2012.

http://al-adab.com/archive

الأرشيف الرقمي الفلسطيني، جامعة بير زيت، فلسطين

http://www.awraq.birzeit.edu/ar

ذاكرة فلسطين: أرشيف معهد الدوحة للدراسات العليا

http://94.142.51.102:7700/xmlui/community-list

أرشيف أعداد مجلة «شؤون فلسطينية»: 1971-2014

https://drive.google.com/drive/folders/0B-bKayOQFM4na0czX0x-Eckl3Tm8

أرشيف ومكتبة عدلي الهواري. ستة كتب إضافة إلى وثائق العـمل الطلابي الفلسطيني في الـولايات المتحدة 1984-1980، ومجلات صدرت بالعربية في الولايات المتحدة في الفترة نفسها.

http://www.oudnad.net/dox

أرشيف الإنترنت: يضم الموقع كما هائلا من الكتب والدوريات العربية المحولة إلى صيغة رقمية. المجلات والكتب محفوظة عادة في ملفات مضغوطة ضخمة الحجم.

https://archive.org

الفنان بول كلي

لوحة غلاف العدد الفصلي 24

لوحة الغلاف للفنان التشكيلي الألماني، بول كلي (Paul Klee). ولد في سويسرا عام 1879، وتوفي عام 1940. تاريخ اللوحة: 1920.

مصدر اللوحة: موقع متحف متروبوليتان، نيو يورك، وهي متاحة ضمن ما يعرف بالنطاق العام، أي يمكن استخدامها دون الحاجة إلى موافقة مسبقة من أحد.

https://www.metmuseum.org/art/collection/search/483135

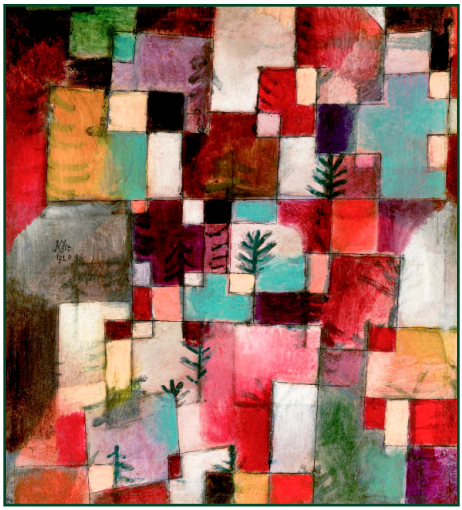

الصفحة الأخيرة

«عـود الـنــد» تكمل عامها الـ 16

بصدور هذا العدد من مجلة «عـود الـنــد» الثقافية، أي العدد الفصلي الرابع والعشرين (ربيع 2022) تكون المجلة من ناحية تسلسل الأعداد أتمت ستة عشر عاما من الصدور المنتظم، عشرة منها كمجلة شهرية، وستة كفصلية. ومن الناحية الزمنية ينتهي العام السادس عشر مع نهاية شهر أيار (مايو) 2022.

نتطلع إلى العام السابع عشر من الصدور وفق مواصفات الجودة التي عرفت بها «عـود الـنــد». تذكر/ي أن «عـود الـنــد» تنشر الجديد، المرسل للنشر الحصري في المجلة. الترويج لمادتك ولو بعد مرور سنوات على نشرها يجب أن يكون باستخدام رابط أو فقرة قصيرة مع الرابط. قراءة النص الكامل يجب أن تكون في المجلة.

عـود الـنــد

مواعيد صدور الأعداد

العدد الفصلي 25 (صيف 2022): 1 حزيران (يونيو) 2022

العدد الفصلي 26 (خريف 2022): 1 أيلول (سبتمبر) 2022

العدد الفصلي 27 (شتاء 2023): 1 كانون الأول (ديسمبر) 2023

العدد الفصلي 28 (ربيع 2023): 1 آذار (مارس) 2023

«عـود الـنـد» فـي سـطـور

- صدر العدد الأول من مجلة «عـود الـنـد» الثقافية مطلع شهر حزيران (يونيو) 2006. وصدرت شهريا عشر سنوات مـتـتـالـيـة.
- حصلت «عـود الـنـد» من المكتبة البريطانية على رقم التصنيف الدولي للدوريات في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 2007. الرقم الخاص بـ«عـود الـنـد» هو: ISSN 1756-4212
- شارك في «عـود الـنـد» كاتبات وكتاب محترفون ومبتدئون من الدول العربية والمهجر.
- بعد اتمام العام العاشر، وصدور 120 عددا شهريا، تقرر تحويل المجلة إلى فصلية.
- ناشر المجلة د. عدلي الهواري. له كتب بالإنجليزية، والعربية، من بينها:
- **الديمقراطية والإسلام في الأردن؛ بيروت 1982: اليوم «ي»؛ اتحاد الطلبة المغدور؛ غسّان يبتسم؛ كلمات عـود الـنـد.**

www.oudnad.net